جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية للبنين بدسوق

مجلة الدراية
https://drya.journals.ekb.eg

مجلة الدراية
مجلة علمية محكمة ربع سنوية

العدد الثامن والعشرون [يوليو ٢٠٢٥م]

أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي

دكتور

عماد السنوسي محمود عياد

مدرس أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي

عماد السنوسي محمود عياد

قسم أصول اللغة، بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: emadayad794.el@azhar.edu.eg

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان أثر السياق ودوره البارز في الكشف عن المعنى المراد في ديوان الإمام الشافعي، وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي لتوضيح أثر السياق بأنواعه المختلفة في بيان المعنى المراد، وتتمثل إشكالية البحث في أن المعنى في النصوص الشعرية، لا يُفهم فهماً دقيقاً بمجرد النظر إلى الألفاظ والتراكيب في حد ذاتها، بل يتطلب فهمًا عميقًا للسياق الذي وردت فيه، ويعتمد البحث على تحليل نماذج منتقاة من شعر الإمام الشافعي للكشف عن كيفية تغيّر المعنى باختلاف السياق، مع التركيز على السياقات اللغوية والمقامية والثقافية والنفسية، ويُبرز البحث أن الشافعي لم يكن شاعرًا تقليديًا، بل وظّف الشعر كامتداد لرسالته العلمية والفقهية، معبّرًا عن مبادئه بلغة عاطفية مؤثرة، فديوان الإمام الشافعي ليس مجرد نص شعري تقليدي، بل هو بنية لغوية غنية تتداخل فيها العاطفة، والبيئة، والتجربة الشخصية، مع الخلفية الدينية والفكرية، لتصوغ معاني دقيقة ومركبة لا يمكن فهمها فهماً كاملاً دون مراعاة السياقات المختلفة المحيطة بالنص، ومن خلال التحليل، تبيّن أن كثيرًا من أبياته لا تُفهم على وجهها الصحيح إلا بالرجوع إلى السياق العام الذي قيلت فيه، كحالته النفسية أو مواقفه الفكرية، أو تجاربه الإنسانية، وإن إغفال هذا السياق يؤدي إلى انزياح المعنى أو سوء الفهم، وهو ما يجعل دراسة السياق أداة ضرورية لفهم الديوان فهما سليمًا.

الكلمات المفتاحية: الإمام الشافعي، ديوان، السياق، توجيه المعنى، أثر السياق.

The Impact of Context on Directing Meaning in Imam Al-Shafi'i Diwan

Imad Al-Sanousi Mahmoud Ayyad.
Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Desouk, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: emadayad794.el@azhar.edu.eg

Abstract:
The research aims to demonstrate the impact of context and its prominent role in reveaby ng the intended meaning in Imam Al-Shafi'i's Diwan. The research reby ed on the descriptive and analytical approach to clarify the impact of context, in its various types, on clarifying the intended meaning. The research problem is that meaning in poetic texts cannot be accurately understood by simply looking at the words and structures themselves, but rather requires a deep understanding of the context in which they appear. The research reby es on analyzing selected examples from Imam Al-Shafi'i's poetry to reveal... On how meaning changes depending on the context, with a focus on by nguistic, situational, cultural, and psychological contexts. The research highby ghts that Al-Shafi'i was not a traditional poet, but rather employed poetry as an extension of his scientific and jurisprudential message, expressing his principles in an emotionally moving language. Imam Al-Shafi'i's Diwan is not just a traditional poetic text, but rather a rich by nguistic structure in which emotion, environment, and personal experience intertwine with reby gious and intellectual backgrounds, to formulate precise and complex meanings that cannot be fully understood without taking into account the various contexts surrounding the text. Through analysis, it became clear that many of his verses cannot be properly understood except by referring to the general context in which they were said, such as his psychological state, intellectual stances, or human experiences. Ignoring this context leads to a shift in meaning or misunderstanding, which makes the study of context a necessary tool for a sound understanding of the Diwan.

Keywords: Imam Al-Shafi'i, Diwan, Context, Directing meaning, The effect of context.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على معلم البشرية، سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أسهمت اللسانيات إسهاما فعالا في دراسة اللغات البشرية وكان لها الفضل في إثراء الدرس اللغوي الحديث موضوعا ومنهجا على حد سواء، ولعل من أهم الثمرات التي أنتجتها اللسانيات هي نظرية السياق والتي تعد من أهم محاور علم الدلالة.

ويُعدّ فهم المعنى في النصوص الأدبية واللغوية من أهم مرتكزات التأويل والتذوق، ولا يتحقق هذا الفهم بصورة دقيقة إلا إذا أُخذ السياق بعين الاعتبار، فالكلمة لا تُفهم بمعزل عن محيطها النصي والظرفي، بل يَكتسب اللفظ دلالته الحقيقية من خلال السياق الذي يرد فيه، سواء أكان لغويًا أم اجتماعيًا أم نفسيًا، وقد أدرك علماء اللغة والبلاغة منذ القدم هذه الأهمية، فأشاروا إلى أن المعاني تتغيّر بتغير السياقات، وأن الألفاظ مرنة تحت سلطة السياق.

وفي تراثنا العربي، يبرز ديوان الإمام الشافعي بوصفه نصًا غنيًا يجمع بين الحكمة، والتأمل، والبعد الديني، والنظرة الاجتماعية، وعلى الرغم من أن الإمام الشافعي عُرف أساسًا بعلمه الفقهي، فإن ديوانه الشعري يكشف عن جانب أدبي رفيع، يعكس شخصيته الفكرية وتجاربه الإنسانية.

ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في دراسة ديوان الإمام الشافعي من زاوية لغوية تحليلية، تسلط الضوء على السياق بوصفه أداة توجيهية للمعنى، محاولةً الكشف عن عمق الدلالات التي قد تغيب عند القراءة السطحية للنصوص الشعرية، دون النظر إلى الظروف والسياقات المحيطة بها.

كما تكمن أهمية هذا البحث في كونه يجمع بين محورين أساسيين: اللغة والسياق من جهة، والتراث الشعري للإمام الشافعي من جهة أخرى،

فالسياق يُعد من أهم الأدوات التي يعتمد عليها في تفسير النصوص وتوجيه المعاني، وقد بات محورًا رئيسًا في الدراسات اللغوية الحديثة، ولا سيما في مجالات علم الدلالة وتحليل الخطاب، وديوان الإمام الشافعي يُمثل نموذجًا شعريًا ثريًا بالمعاني العميقة والأبعاد الفكرية والدينية والاجتماعية، مما يجعله بيئة خصبة لدراسة تفاعل السياق مع المعنى.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع لعدة أسباب، أبرزها:

١- الرغبة في استكشاف البعد اللغوي والدلالي في شعر الإمام الشافعي، الذي غالبًا ما يُتناول من زاوية دينية أو فقهية، في حين أن ديوانه يحمل أبعادًا لغوية وفكرية تستحق الدراسة والتحليل.

٢- أهمية السياق في فهم المعنى، إذ إن كثيرًا من سوء الفهم أو الغموض في النصوص ينتج عن تجاهل السياق، مما دفعني إلى دراسة هذا الموضوع بوصفه أداة حيوية في توجيه المعاني وفهم المقاصد.

٣- الاطلاع على العلاقة بين اللغة والمعنى في النصوص الشعرية التراثية، وكيف يمكن للسياق أن يكشف عن معانٍ متعددة ومتجددة تتجاوز المعنى الظاهري.

٤- الاهتمام الشخصي بشعر الإمام الشافعي لما يتسم به من حكمة وبلاغة وعذوبة لغوية، مما حفّزني في دراسته دراسة لغوية تحليلية متعمقة.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف الظواهر اللغوية في ديوان الإمام الشافعي، وتحليلها في ضوء السياق الذي وردت فيه، وسأقوم في هذا البحث باختيار نماذج من ديوان الإمام الشافعي، وتحليلها تحليلاً لغويًا ودلاليًا وفق السياقات المختلفة: اللغوية، والمقامية، والثقافية، كما أسعى من خلال هذا المنهج إلى الكشف عن

الأبعاد الدلالية المتعددة للنصوص الشعرية، وبيان كيف يُوجّه السياق فهم المتلقي للمعنى المقصود.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذا البحث في الكيفية التي يسهم بها السياق بأنواعه المختلفة في توجيه المعنى داخل ديوان الإمام الشافعي، إذ إن المعنى في النصوص الأدبية، وخاصة الشعرية، لا يُفهم فهماً دقيقاً بمجرد النظر إلى الألفاظ والتراكيب في حد ذاتها، بل يتطلب فهماً عميقاً للسياق الذي وردت فيه هذه الألفاظ، فالسياق قد يغيّر المعنى الظاهر، أو يوسّعه، أو يقيّده، أو ينقله من مستوى دلالي إلى آخر، ومن هنا تُطرح الإشكالية الرئيسة للبحث في الأسئلة الآتية:

كيف يوجّه السياق – بمستوياته المختلفة (اللغوي، والمقامي، والثقافي، والعاطفي) – المعاني في ديوان الإمام الشافعي؟

ما أنواع السياقات البارزة في ديوان الإمام الشافعي؟

إلى أي مدى يمكن للسياق أن يكشف عن دلالات خفية أو متعددة للفظ أو العبارة في شعر الشافعي؟

أهداف البحث:

١- الكشف عن أنواع السياقات في ديوان الإمام الشافعي.

٢- بيان أثر كل نوع من أنواع السياق في توجيه المعنى.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة دراسة هذا البحث أن يكون في مقدمة ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

- **المقدمة: وتحدثت فيها عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، وإشكاليته، وأهدافه، وخطة الدراسة فيه.**
- **المبحث الأول: الإطار النظري، وفيه مطلبين:**

- المطلب الأول: مفهوم السياق، وأنواعه.
- المطلب الثاني: التعريف بالإمام الشافعي، وديوانه.
- **المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي.**
- المطلب الأول: السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى.
- المطلب الثاني: السياق المقامي وأثره في توجيه المعنى .
- المطلب الثالث: السياق الثقافي وأثره في توجيه المعنى .
- المطلب الرابع: السياق العاطفي وأثره في توجيه المعنى .
- **الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.**
- **الفهارس.**

المبحث الأول: الإطار النظري

المطلب الأول: مفهوم السياق، وأنواعه

أولا: مفهوم السياق:

السياق لغة: لفظة السياق أصلها السواق، وإنما قلبت الواو ياء لكسرة السين[١] فهي مصدر من ساق يسوق، قال ابن فارس: " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء، يقال: ساقه يسوقه سوقا " [٢].

وقد استعمل العرب الألفاظ المأخوذة من (س و ق) على نحو ما يلي:

جاء في لسان العرب: " ساق الإبلُ وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة ... وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير؛ لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما " [٣].

وقد ذكر الزمخشري سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ فقال: " ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساقت الريح السحاب، ... وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده " [٤].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود، محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٣، ٤٢٤/٢.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (سوق) ١١٧/٣.

(٣) لسان العرب: لابن منظور، الناشر: دار صادر - بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، (سوق) ١٦٦/١.

(٤) أساس البلاغة: للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (سوق) ٤٨٤/١.

ويؤخذ مما ذكره الزمخشري أن لفظ السياق قد ورد استعماله مجازيا مع كل من المتكلم الذي يسوق الحديث، والمخاطب إليك يساق الحديث، والكلام (أي النص المنطوق أو المكتوب) وذلك في قوله: "هذا الكلام سياقه كذا " [١] وهو مأخوذ من المعنى الحسي، وهو تتابع الإبل وسيرها إثرها في إثر بعض.

كما نستنتج أن المادة تدور في فلك التتابع والاتصال وهكذا استعملت لدى العرب.

السياق اصطلاحا:

يعرف السياق في الاصطلاح بأنه: هو الذي ساعد في كشف معنى الكلمة نتيجة الوضع المتفق عليه بين المتكلم والسامع[٢].

وعرفه البعض بأنه: البيئة اللغوية التي تحيط بالكلمة أو العبارة أو الجملة، وتستمد أيضا من السياق الاجتماعي وسياق الموقف وهو المقام الذي يقال فيه الكلام بجميع عناصره من متكلم ومستمع وغير ذلك من الظروف المحيطة والمناسبة التي قيل فيها الكلام[٣].

وقد عرفه الدكتور/ محمود السعران بقوله: " جملة العناصر المكونة للموقف الإعلامي أو للحال الكلامية " [٤].

وعرفه بعض المحدثين بأنه: مجموع الظروف التي تحيط بالكلام [٥].

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية و البنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق: د/ عبد الفتاح البركاوي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ٢٥، ٢٦.

(٢) التنافر الصوتي والظواهر السياقية: د/ عبد الواحد حسن، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٩، ص٣٠.

(٣) علم الدلالة النظرية والتطبيق: د/ فوزي عيسى، د/ رانيا فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨، ص١١١.

(٤) علم الدلالة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، ط. دار النهضة الحديثة، بيروت، ص٣١١.

(٥) نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د/ عبد المنعم خليل، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧، ص٨٢.

وقد أطلق عليه الدكتور/ كمال بشر مصطلح " المسرح اللغوي " والمقام ومجريات الحال، وليس هو مجرد مكان يلقى فيه الكلام، إنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة أخذ بعضها بحجر بعض، فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين سامعين ومستمعين ومتلقين وعلاقتهم ببعض، وهناك كذلك ما في المواقف في الأشياء والموضوعات المختلفة التي تفيد في فهم الكلام والوقوف على خواصه وهناك كذلك الكلام نفسه [١].

وذهب الدكتور/ تمام حسان تأكيدا للمعاني اللغوية التي تدل على التتابع أو الإيراد المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، الأولى توالي العناصر التي يتحقق التركيب والسبك والسياق من هذه الزاوية يسمى سياق النص، والثانية توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى سياق الموقف [٢].

ثانيا: أنواع السياق:

يُقسم " فيرث " السياق في الحقيقة إلى نوعين، هما:

١- **السياق الداخلي للحدث اللغوي:** ويتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين .

٢- **السياق الخارجي:** ويتمثل في السياق الاجتماعي، أو سياق الحال بما يحتويه، وهو يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي[٣].

ولذلك نجد بعض علماء اللغة المعاصرين يقسمون السياق إلى نوعين:

---

(١) دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، ط. دار المعارف، ط.٩، ١٩٨٦، القاهرة، ص٥٧.

(٢) د. عبد المنعم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص٨٢.

(٣) ينظر: علم الدلالة: أف. آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥، ص٧٤، ودلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث: د/ عبد الفتاح البركاوي، ص ٣٠.

١- **السياق اللغوي:** ويتمثل في الأصوات والكلمات والجمل .

٢- **السياق الحال:** ويمثله العالم الخارجي عن اللغة بما له صلة بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف النفسية والاجتماعية والثقافية للمتكلم، والمشتركين في الكلام أيضا [١].

ويقسم علماء اللغة المحدثون السياق إلى الأقسام الآتية:

١- **السياق اللغوي:** وهو السياق الذي يستند في تحديد المعنى إلى عناصر لغوية، ومعنى هذا أن الكلمة تحدد حسب السياق الوارد فيه، وبهذا يمكن للكلمة الواحدة أن يكون لها عدة معانٍ حسب وجودها في سياقات مختلفة [٢].

أو هو: ما يتلو المفردة التي يراد بيان معناها أو يتقدمها من عبارات تقضي إما ببيان معناها أو بتعيين المعنى المراد من معانيها[٣].

وذلك مثل قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جلل ... والفتى يسعى ويلهيه الأمل[٤].

فدل ما تقدم قبل قوله: "جلل " وكذلك ما تأخر بعده، على أن معناه كل شيء ما خلا الموت يسير، ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن " الجلل " هنا معناه عظيم[٥].

---

(١) ينظر: الكلمة دراسة لغوية معجمية: د/ حلمي خليل، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص ١٦١.

(٢) جدلية السياق والدلالة في اللغة النص القرآني أنموذجا، د / سيروان عبد الزهرة الجنابي، د/ حيدر جبار عيدان، مجلة مركز دراسات الكوفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، العدد ٩، يوليو ٢٠٠٨م، ص٤٣.

(٣) المعنى اللغوي: د/ محمد حسن جبل، مطبعة الآداب، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ص٢٢٠.

(٤) البيت من بحر الرمل، وهو للبيد بن ربيعة العامري، وروايته في ديوانه " كل شيء ما خلا الله جلل ". ينظر: ديوانه، ط. دار صادر، بيروت، ص١٤٩.

(٥) الأضداد: لابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ص٢، دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة: د/ إبراهيم محمد أبو سكين، ص ٢٢٧.

٢- **سياق المقام:** ويسمى بسياق الموقف، أو سياق الحال، أو السياق الخارج عن النص، ويُقصَد به السياق الخارجي الذي يمكن أن تقعَ فيه الكلمة، فتتغير دلالتها تبعاً لتغير الموقف أو المقام ، وقد أطلق اللغويون على هذه الدلالة مصطلح : " الدلالة المقامية" (١).

هذا ونجد اهتمام العرب انصب أيضاً على سياق المقام، وأهميته في تبينهم دلالات الألفاظ؛ إذْ نجد أنهم حين جمعوا الشعر العربي ، ودونوه حرصوا على وضع مقدمات حول المناسبات، والملابسات التي نظم فيها ذلك الشعر بغرض فهم معانيه. يقول الراجحي : في هذا الصدد: " وقد لا يكون بعيداً عن ما نحن أن نشير إلى العرب القدماء كانت لهم إشارات إلى الموقف أو المقام، أو غير ذلك مما يشبه نكرة الحال من هذه الإشارات ما أفرده المفسرون لمعرفة أسباب النزول ... "(٢).

٣- **السياق الثقافي:** يقتضي تعيين المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تستخدم فيه الكلمة، ومن أمثلة ذلك: كلمة "عقيلته" في تعد في اللغة العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة "زوجته" (٣).

وقد لاحظ العرب القدماء ارتباط الدلالة بمثل هذا السياق، يقول الجاحظ في هذا الصدد: " كلام الناس في طبقات، كما أنّ الناس أنفسهم في طبقات " (٤).

---

(١) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: د/ منقور عبد الجليل ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م، ص ٩٠، علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر، ط. عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥م، ص٧١.

(٢) في علم الدلالة: د/ عبد الكريم حسن جبل، دار الجيل، صيدا- بيروت- ط١، ص٢١٠.

(٣) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر، ص ٧١.

(٤) البيان والتبيين: للجاحظ، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان- ط ٢، ١/٥.

٤- **السياق العاطفي:** وهو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالتها الموضوعية، ودلالتها العاطفية [١] فالسياق العاطفي هو المحدد لدرجة القوة أو الضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا [٢].

فعلى الرغم من اشتراك وحدتين لغويتين في أصل المعنى إلا أن دلالتهما تختلف، ومن أمثلة ذلك: الفرق بين دلالة الكلمتين: "اغتال " و " قتل " بالإضافة إلى القيم الاجتماعية التي تحددها الكلمتان فهناك إشارة إلى درجة العاطفة والانفعال الذي تصاحب الفعل، فإذا كان الأول يدل على أن المغتال ذو مكانة اجتماعية عالية، وأن الاغتيال كان لدوافع سياسية، فإن الفعل الثاني يحمل دلالات مختلفة عن الأول وهي دلالات تشير إلى أن القتل قد يكون بوحشية وأن آلة القتل قد تختلف عن آلة الاغتيال فضلاً على أن المقتول لا يتمتع بمكانة اجتماعية عالية [٣].

ويتبين من خلال العرض السابق لأنواع السياق المختلفة، أن المعنى هو ما يفهم من السياق سواء كان لغويا أو عاطفيا أو ثقافيا أو من خلال سياق الموقف، فكل أنواع السياق تتضافر وتساعد على فهم وتحديد المعنى المقصود من النصوص الشعرية، وهذا ما سنقوم بتوضيحه من خلال ديوان الإمام الشافعي.

(١) مبادئ اللسانيات: د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨، ص٣٥٦.

(٢) علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر، ص ٧٠.

(٣) ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: د/ منقور عبد الجليل، ص ٩٠.

المطلب الثاني

التعريف بالإمام الشافعي، وديوانه

أولا: التعريف بالإمام الشافعي –رحمه الله–:

- اسمه وكنيته ولقبه:

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي الشافعي، يجتمع مع النبي –صلى الله عليه وسلم– في هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي ، وإلى جده شافع ينتسب الإمام الشافعي(١).

كنيته: أبو عبد الله الشافعي (٢).

لقبه: لقبه أهل بغداد بناصر الحديث وهو نقل هذا القول فقال: " سميت ببغداد ناصر الحديث "(٣).

- مولده ونشأته:

ولد عام مائة وخمسين من الهجرة النبوية، في مدينة غزة(٤) بالشام، وهو العام الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة – رحمهما الله– (٥).

---

(١) ينظر: وفيات الأعيان: لابن خلكان، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، ط١٩٧١،١، ١٦٣/٤، وما بعدها، سير أعلام النبلاء: للذهبي، الناشر : مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ٥/١٠، وما بعدها، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبو حنيفة: لابن عاصم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ص ٦٦، ٦٧، الشافعي حياته وعصره وآراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ص١٤.

(٢) الثقات: لابن حبان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٩٧٣م، ٣٠/٩.

(٣) تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ، ٢٩/٩.

(٤) غزة: مدينة في أقصى الشام، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط. دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م، ٢٠٢/٢.

(٥) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت– ٦٧/٩، مناقب الشافعي: للبيهقي، تح/ السيد أحمد صقر، دار التراث – مصر، ١٩٧٠، ٧١/١.

نشأ الإمام الشافعي – رحمه الله – يتيما في حجر أمه ، فقد مات أبوه وهو شاب، فانتقلت به والدته إلى مكة وفيها تلقى أول علومه في الفقه والتفسير وغيرها [١].

طلب الإمام الشافعي –رحمه الله – العلم في سن مبكرة، وفي هذا يقول الإمام الشافعي: " حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر". وقال – رحمه الله– : " كنت يتيما في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني بأن أقوم على الصبيان إذا غاب وأخفف عنه " [٢].

تم أخذ بعدها يتتبع أماكن العلماء رغم تباعد أماكنهم واختلاف مناهجهم ويأخذ منهم العلم ويدونه، حتى أصبح أحد الأئمة في علم الفقه وأصبح له مذهب يؤخذ به حتى الآن ويُدرس في شتى بقاع الدنيا.

- **شيوخه وتلامذته:**

أقبل الإمام الشافعي – رحمه الله – على العلم منذ صغره ، فأخذ العلم من أكابر الشيوخ والفقهاء والعلماء وتتلمذ عليهم، مما ساهم في اتساع مداركه وغزارة علمه، وكان لا يمر ببلد أو ينزل بها إلا ويقصد علماءها، ليزداد علما وفقها، فأخذ عن عدد من علماء مكة، والمدينة، واليمن والعراق وفيها اشتهر أمره واعترف بذلك العلماء، وعظمت عند الخلفاء مرتبته، فكانوا يحترمونه ويجلونه، وابتلى في مواطن بما لا يُحصى من المسائل فكان جوابه صوابا مسددا في جميعها، حتى أصبح من علماء وفقهاء زمانه ، كما أصبح مرجعا علميا لطلبة العلم، يحرصون على مجلسه للاستماع إليه والأخذ عنه.

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٣٦/٨، مناقب الشافعي: للبيهقي ٩٢/١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣٨/٨.

ومن أبرز شيوخه – رحمهم الله –:

١- سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) [١].

٢- مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) [٢].

٣- عمرو بن أبي سلمة (ت ٢١٤ هـ) [٣]، وغيرهم.

ومن أبرز تلاميذه – رحمهم الله – :

١- أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) [٤].

٢- الربيع بن سليمان المرادي (ت ٢٧٠ هـ) [٥].

٣- يعقوب بن يوسف البويطي (ت ٢٣١ هـ) [٦]، وغيرهم.

- **مصنفاته:**

الإمام الشافعي – رحمه الله – وهبه الله موهبتي الفهم والحفظ السريع، وكان نتاج ذلك أنه ترك بعد وفاته الكثير من المؤلفات وذخائر الكتب في شتى العلوم والفنون، هذا وقد امتازت مصنفاته بحسن التصنيف والتأليف .

قال الإمام أبو محمد الحسن المروزي – رحمه الله عنه: " قيل إن

---

(١) هو: سفيان بن عيينة أبو محمد بن أبي عمران الهلالي ، إمامًا عالما زاهدًا ورعا، توفي بمكة . ينظر: وفيات الأعيان ٣٩١/٣، وما بعدها .

(٢) هو: مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، وصاحب المذهب المشهور ، أخذ عنه الإمام الشافعي ولازمه إلى أن مات. ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥٠/٧، وما بعدها.

(٣) هو: عمرو بن أبي سلمة أبو حفص التنيسي ، الإمام الحافظ ، دمشقي ، من موالي بني هاشم . ينظر: سير أعلام النبلاء ٣٤٣/٨، وما بعدها.

(٤) هو: الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله أحمد بن محمد، إمام المحدثين، امتحن في القول بخلق القرآن، فصبر ، وأعز الله به الإسلام . انظر : وفيات الأعيان ٦٣/١، وما بعدها.

(٥) الربيع المرادي لزم الشافعي في مصر، وعلى يده انتشر مذهبه، كان أصحاب الشافعي يعتبرونه الثقة في الرواية عنه. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للكلبي، تح/ د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ ، ٨٧/٩، وما بعدها.

(٦) يعقوب البويطي صاحب الإمام الشافعي ، قام مقامه في الدرس والإفتاء بعد وفاته ، كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة . ينظر: وفيات الأعيان ٦١/٧، وما بعدها.

الشافعي – رحمه الله – صنف مائة وثلاثة عشر كتابا في التفسير والفقه والأدب، وغير ذلك "[١].

ومن تلك المؤلفات ما يلي[٢]:

١- كتاب الرسالة (مطبوع بتحقيق الشيخ أحمد شاكر).

٢- كتاب جماع العلم (مطبوع، طبعته دار الآثار سنة ٢٠٠٢م).

٣- كتاب إبطال الاستحسان (مطبوع بتحقيق د/ على محمد بن سنان).

٤- الأم (طُبع بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر، ودار الفكر ببيروت) .

٥- كتاب اختلاف الحديث (مطبوع ونشرته دار المعرفة ببيروت).

٦- كتاب أحكام القرآن (جمعه البيهقي، طبع ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة).

٧- كتاب اختلاف مالك والشافعي، وغيرها كثير لا يتسع المقام لذكره.

- وفاته:

أصيب الإمام الشافعي – رحمه الله – في آخر عمره بمرض البواسير، واشتد عليه في آخر أيامه إلى أن توفي في آخر يوم من شهر رجب عام أربع ومائتين للهجرة النبوية، عاش أربعا وخمسين سنة، ترك بعده ثروة عظيمة من العلم والمؤلفات في مختلف الفنون [٣].

قال المزني:" دخلت على الشافعي في علته التي مات فيها فقلت له كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلا ولإخواني مفارقا ولكأس المنية شاربا ولسوء أعمالي ملاقيا وعلى الله واردا فلا أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشد:

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- ٧٤/١.

(٢) ينظر: مناقب الشافعي: للبيهقي، ٢٤٦/١، وما بعدها.

(٣) ينظر: تهذيب الكمال ٣٧٦/٢٤، تاريخ بغداد: للبغدادي، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، ٦٨/٢.

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
وما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما(١).

قال الربيع المرادي – رحمه الله – : " كنا جلوسا في حلقة الشافعي بعد موته بيسير فوقف علينا أعرابي وقال: أين قمر هذه الحلقة وشمسها ؟ قلنا توفي، فبكى بكاء شديدًا، وقال رحمه الله وغفر له، فلقد كان يفتح ببيانه مغلق الحجة، ويسد على خصمه واضح المحجة، ويغسل من العار وجوها مسودة، ويوسع بالرأى أبوابا منسدة ثم أنصرف " (٢).

رحمه الباري رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء...

ثانيا: شعر الإمام الشافعي وديوانه:

كان الإمام الشافعي –رحمه الله– عالما باللغة والنحو والأدب، قال عبد الملك بن هشام النحوي : " طالت مجالستنا للشافعي، فما سمعت منه لحنة قط " (٣) وقال الأصمعي : " أخذتُ شعر هذيل عن الشافعي " وقال أبو عثمان المازني: " الشافعي عندنا حجة في النحو "(٤).

وقال المبرد: " رحم الله الشافعي كان من أشعر الناس، وآدب الناس، وأعرفهم بالقراءات " (٥) وقال يونس بن عبد الأعلى: " كان الشافعي إذا أخذ

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: للصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م ، ١٢٦/٢.

(٢) ينظر: الوافي بالوفيات ١٢٤/٢.

(٣) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: للذهبي، تح/ الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، ١٤٦/٥.

(٤) المرجع السابق، ١٤٦/٥.

(٥) طبقات الشافعيين: لابن كثير، تح/ د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م، ص١٤.

في العربية قلت: هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده، قلت: هو بهذا أعلم ... " [١].

وقد حرص الإمام الشافعي –رحمه الله– أن يكون عالماً فقيهاً لا شاعراً مشهوراً، وهو يرى أن الشعر يزري بالعلماء، يقول (من الوافر):

ولولا الشعر بالعلماءِ يُزري لكُنتُ اليومَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ[٢]

ولم يذكر أحد من الرواة أن للشافعي ديواناً، ولعل أول من اهتم بجمع شعره ونشره محمد مصطفى، وكان ذلك سنة ١٩٠٣ م ، حيث أصدر في القاهرة مجموعة من شعره سماها " **الجوهر النفيس في أشعار الإمام أحمد بن إدريس** " تقع في سبع وأربعين صفحة، ثم أصدر محمود إبراهيم هيبة ديوانه سنة ١٣٢٩ هـ– ١٩١١ م، ثم أعاد زهدي يكن نشر هذا الديوان في سنة ١٩٦١م، ثم بدأت دور النشر المختلفة بنشر هذا الديوان نظراً إلى شدة إقبال القراء على اقتنائه .

وجاءت طبعات الديوان متفاوتةً بالنسبة إلى أحجامها، وشروحاتها، والدقة في التحقيق، وعدد القصائد والمقطوعات المثبتة، ولعلّ أكثر الطبعات انتشاراً طبعة دار الجيل التي أعدها محمد الزعبي، وأفضلها تحقيقاً طبعة دار الكتب العلمية التي أعدها نعيم زرزور، وأكثرها اعتماداً لدى الدارسين والمحققين طبعة دار الثقافة التي نشرها زهدي يكن .

ومعظم شعر الشافعي في الحكمة والنصح والإرشاد، وهو يمتاز بالسهولة والإيجاز واختيار الكلمات السهلة والعبارات الواضحة، كل ذلك مع

---

(١) معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح/ إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ٢٤٠٣/٦.

(٢) ديوان الإمام الشافعي، جمع وشرح/ نعيم زرزور، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص٥٤.

حسن السبك، ومتانة العبارة، وحري بهذا الشعر أن يوصف بالسهل الممتنع، واللافت فيه أنه مقطوعات لا قصائد، فلم ينظم الشافعي قصائد طوالاً، ولعل ذلك يعود إلى عزوفه عن الشعر إلى الفقه، وإلى أن معظم شعره قيل ارتجالاً، وإلى أن غاية الشافعي منه النصح والإرشاد، وهذان لا يناسبهما سوى المقطوعات القصار(١).

ومن هنا كان ديوان الشافعي كنزاً من كنوز الأدب، ونبعاً صافياً يستقى منه الأبناء والآباء دروس الحكمة، وألوان التجارب الحياتية يقدمها إمام كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس.

ولقد امتلأت به المراجع والموسوعات اللغوية والأدبية وتناثرت منه مقطعات في كتب الفقه والحديث وتناقلها رواد الحكمة جيلا بعد جيل ، فعاشت على كل لسان ، وراح يرددها الرائح والغادي(٢).

والمشكلة في شعر الشافعي أن الكثير منه يُنسب له ولغيره، وهذه الظاهرة، وإن كانت معروفة في الأدب العربي، إذ تجد فيه الكثير من الأبيات والقصائد تُنسب لعدة شعراء، والعديد من المقطوعات والقصائد لا يُعرف صاحبها، فهي بارزة في شعر الشافعي بروزا نادرا ما نجده عند غيره، ولعل من أهم أسبابها عدم جمع أشعاره في وقت مبكر، وتسرّع بعض الباحثين في نسبتهم إليه بعض المقطوعات الشعرية غير المنسوبة والتي تشبه شعره، ورغبة بعض الشعراء المغمورين في الترويج لشعره عن طريق نسبته إلى الشافعي .

وقد تكون بعض الأبيات والمقطوعات من صنع تلاميذه، فنقلها النساخون ونسبوها، خطأ إليه؛ لأن كلّ ما يُنسب إلى الإمام الشافعي من

(١) ينظر: ديوان الإمام الشافعي، ص٣٤.

(٢) مقدمة ديوان الشافعي، تقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص ٨.

تلاميذه أو أتباعه يُسمى " الشافعي" أيضاً، ومن هنا قد يأتي الالتباس في النسبة أو اللقب، أضف إلى ذلك أن التصحيف والتحريف اللذين عرفهما الأدب العربي يخرجان البيت الشعري عن أصله، والدليل عليهما في شعر الشافعي كثرة الأبيات التي لها غير رواية واحدة .

ونفترض، في المقابل ضياع قسم من أشعاره لعل المستقبل يعين في الكشف عنها. وهذا الافتراض يدعمه جملة أمور منها شهادة الكثير من العلماء والنقاد واللغويين يطول باعه في الشعر، حتى جعله المبرد من أشعر الناس [١] وبلوغ شعره مستوى من الجودة لا يبلغها مُقِلّ، ومنها أيضاً أنه كلما نهض باحث لتحقيق ديوانه وجد مقطوعات وأبياتاً فاتت من سبقه في تحقيق هذا الديوان .

(١) ينظر: طبقات الشافعيين ص١٤، ومعجم الأدباء ٢٤٠٣/٦.

المبحث الثاني

أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي

تمهيد وتقسيم:

يُعدّ السياق أحد الركائز الأساسية في فهم النصوص الأدبية والدينية على حد سواء؛ لما له من دور فاعل في توجيه المعاني وتحديد المقاصد، خصوصًا في النصوص الأدبية كالشعر، حيث يتداخل المعنى الظاهري مع المقاصد البلاغية، ويُسهم السياق في إزالة اللبس، وتوضيح المقصود الحقيقي من الكلام.

ويُعتبر ديوان الإمام الشافعي مثالًا غنيًا يُبرز هذا الأثر، إذ لا يُمكن الوقوف على المعاني العميقة في شعره دون مراعاة السياقات المختلفة التي أُلقي فيها، سواء كانت لغوية، أو دينية، أو اجتماعية، أو نفسية، فالشافعي، وهو فقيه وشاعر ومفكر، عبّر عن تجربته الإنسانية والدينية بلغة شعرية دقيقة، جاءت متأثرة بثقافته الواسعة وظروف عصره؛ لذا، فإن دراسة السياق في ديوانه ليست مجرد أداة تفسيرية، بل مدخل أساسي لفهم النصوص وتأويلها تأويلاً يعكس مقاصدها الحقيقية.

ويمكن ملاحظة أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي من خلال المطالب التالية:

- **المطلب الأول: السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى.**
- **المطلب الثاني: السياق المقامي وأثره في توجيه المعنى .**
- **المطلب الثالث: السياق الثقافي وأثره في توجيه المعنى .**
- **المطلب الرابع: السياق العاطفي وأثره في توجيه المعنى .**

المطلب الأول

السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى

يلعب السياق اللغوي دورًا جوهريًا في فهم المعاني وتوجيهها في الشعر العربي عمومًا، وفي ديوان الإمام الشافعي خصوصًا، حيث تتعدد المعاني وتحمل الألفاظ أكثر من دلالة بحسب السياق الذي ترد فيه، وسوف أذكر بعض النماذج الدالة على هذا النوع من السياق في ديوان الإمام الشافعي ما يلي:

١- **قول الإمام الشافعي**(١):

إذا نطق السفيه فلا تُجِبه فخير من إجابته السكوتُ

كثيراً ما يلتقي الإنسان في حياته مع جهلاء لا يعقلون، وفوق ذلك فألسنتهم تنطق بالفحش من القول، فإذا قدر لأحدنا أن يجتمع بأحد من هؤلاء ويسمع منه كلاماً يؤذي ، فالدواء الناجع في مثل هذا الموقف هو السكوت (٢).

ويتضح أثر السياق اللغوي في البيت في توجيه المعنى من خلال عدة عناصر لغوية تساعد في فهم المقصود، منها:

١- **الشرط والجواب:** فقوله: **(إذا نطق السفيه)** جملة شرطية تفترض وقوع حدث **(نطق السفيه)**، وقوله: **(فلا تجبه)** هو جواب الشرط، ويُفهم منه النصيحة أو التوجيه بالامتناع عن الرد، فالسياق الشرطي يعطي معنى أن سكوتك ليس مجرد صمت، بل موقف حكيم مقصود كرد فعل على من لا يستحق الحوار.

---

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص٣٩.

(٢) شرح ديوان الشافعي وحِكَمه، جمعه وشرحه: محمود بيجو، ط١، مكتبة ابن القيم، والدار الدمشقية، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٦٦.

كما أن الفعل **(نطق)** يرتبط هنا بالسفيه، ويقصد به القول المؤذي أو غير المنطقي أو المُجدي، أما **(إجابته)** فهي قد توحي ظاهريًا بالرد العقلي، ولكن السياق اللغوي هنا يوجهنا إلى أن السكوت في هذا الموضع أعلى قدرًا وأفضل خلقًا.

٢- المقابلة الضمنية بين السكوت والإجابة: فجملة **(فخير من إجابته السكوت)** توضح المقارنة، وهذا يخلق مفارقة لغوية: الرد ليس دائمًا الأفضل، بل الصمت أبلغ.

وخلاصة الأمر فإن السياق اللغوي يوجه المعنى إلى أن الشافعي لا يذم الكلام ولا يمدح الصمت مطلقًا، بل يربط كل ذلك بطبيعة المتحدث (السفيه)، فالسياق هو الذي يجعل السكوت حكمة، لا ضعفًا.

٢- قول الإمام الشافعي[١]:

ولَرُبّ نازلة يضيقُ بها الفتى ذَرْعًا، وعند الله منها المخرجُ

النازلة: الشديدة من شدائد الدهر تنزل بالناس[٢].

والذرع: الطاقة والوسع، وضاق بها ذرعا، لم يقدر على تحملها، يقال: ضاق بالأمر ذرعه وذراعه، أي: ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصا ولم يطقه ولم يقو عليه [٣].

هنا، تتضح دلالة كلمة (نازلة) من السياق اللغوي بأنها شديدة وصعبة، فعبارة (يضيق بها الفتى ذرعًا) تبرز المعاناة والضيق النفسي، والسياق الذي قاد القارئ إلى معنى الرجاء والتوكل على الله هو قوله:

---

(١) البيت من الكامل، وهو في ديوانه: ص٤٨..

(٢) ينظر: مختار الصحاح: للرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، (نزل) ص٣٠٨، تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (نزل) ٤٨٢/٣٠.

(٣) ينظر: لسان العرب (ذرع) ٩٥/٨، وتاج العروس (ذرع) ٧/٢١.

(وعند الله منها المخرجُ).

فلولا الترتيب والمقابلة بين الشدة والفرج، قد يُظن أن البيت فقط توصيف لحال ضيق، لكن السياق يوجه المعنى نحو الأمل.

٣- قول الإمام الشافعي[١]:

دَعِ الأيامَ تفعلُ مَا تَشاءُ وَطِبْ نفسًا إذا حَكَم القضَاءُ

يذكر الإمام الشافعي أن من رضي بقضاء الله تعالى وقدره عاش مطمئن البال، أما الساخط ففي قلق دائم، وعلى الإنسان أن يرضى بما تأتي به الأيام؛ لأن ذلك من عند الله سبحانه، وألا يكون متبرماً لحكم القضاء والقدر، وأن يتقبل ذلك كله بنفس مطمئنة [٢].

وسياق البيت يدعو إلى التسليم والرضى بحكم القضاء بعد أن يتخذ الإنسان الأسباب، ويبذل الجهد ولتطب نفسه بعد ذلك بما يكون، ولتكن مشيئة الله ما دام قد صح عزمه، فكلمة (دع) في سياق آخر قد تعني الترك أو الإهمال، لكن في سياق البيت تعني التسليم لما لا طاقة للإنسان به، والسياق العام المليء بالإيمان والاطمئنان يوجه المعنى إلى الصبر والرضا، لا إلى الضعف أو الاستسلام أو الترك والإهمال.

وتضح القرائن المقالية في البيت من خلال استخدام أسلوب الأمر (دع)، والاستعارة الضمنية (تفعل ما تشاء) التي تُجسد الأيام ككائن يملك الإرادة، هذه القرائن توجه المتلقي إلى معنى الصبر والرضا بحكم الله، دون أن يُذكر ذلك مباشرة، بل إن الألفاظ المختارة تؤدي دورًا في تهيئة النفس لتقبل الحكمة الكامنة في البيت، وهي أن ما يجري في الدنيا خارج إرادتك، فاطمئن لقضاء الله تعالى.

---

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص٢٦.

(٢) شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه: ص٥١.

٤-قول الإمام الشافعي[١]:

إذا المرءُ لا يرعاكَ إلا تكلُّفاً فدَعْهُ ولا تُكْثِرْ عليه التَّأَسُّفا

السياق العام للبيت يتحدث عن الوفاء في العلاقات؛ وذلك وفقا لمعطيات السياق اللغوي المتمثل في القرائن المقالية (يرعاك، تكلفًا، دعه) .

فلفظ **(يرعاك)** يعني في اللغة الحفظ والحماية[٢]، وقد تفهم على أنها رعاية جسدية أو مادية، لكن سياق البيت وجه المعنى إلى الاهتمام الصادق، وعدم الزيف في المشاعر، ورفض العلاقات القائمة على النفاق، ولفظ **(تكلُّفا)** يعني التحمل على مشقة، وتصنع الشيء دون رغبة حقيقية فيه[٣]، وهذا يجعلنا نفهم أن هذه (الرعاية) ليست محبة حقيقية بل تصنّع اجتماعي أو مجاملة زائفة، ولفظ **(فدعه)** الأمر هنا مبني على الشرط السابق، أي: إذا كانت العلاقة زائفة، فالفعل الصحيح هو الترك لا التعلق، فالأسلوب الشرطي (إذا... فـ) يُحدد بوضوح أن المعنى المراد ليس مجرد الانسحاب، بل التحرر من علاقة سطحية لا صدق فيها.

٥- قول الإمام الشافعي[٤]:

سَهِرَتْ أعينٌ ونامتْ عيونُ في أمورٍ تكونُ أو لا تكونُ

فادرأ الهمَّ ما استطعْتَ عن النفـ سِ فحملانُكَ الهُمومَ جُنُونُ

(سهرت أعين) تُفهم في سياق البيت على أنها عيون منشغلة بالهموم، لا مجرد السهر الفيزيائي، وهو عدم النوم ليلا.

---

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٧٩.

(٢) لسان العرب (رعى) ٣٢٩/١٤، النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تح/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (رعى) ٢٣٦/٢.

(٣) لسان العرب (كلف) ٣٠٧/٩.

(٤) من الخفيف، وهو في ديوانه: ص١٠٣.

فعبارة (**تكون أو لا تكون**) تجعلنا نفهم أن ما نقلق عليه قد لا يقع أصلاً، وهنا السياق يُوجّه المعنى إلى عدم الإفراط في التفكير، والدعوة إلى التوكل، وراحة البال، والثقة بالله.

استخدم الإمام الشافعي أسلوب المقابلة بين (سهرت، ونامت) لإبراز المفارقة النفسية بين الناس، وإبرز اللامعقول في الإفراط في القلق حين تكون الأمور خارجة عن السيطرة أصلاً.

فالسياق اللغوي في هذا البيت يُحول ألفاظًا بسيطة كـ (عيون، وسهر، ونوم) إلى رموز دلالية تعكس الحالة النفسية للإنسان بين القلق والرضا، ويُرشد القارئ إلى أن الإيمان والتسليم سبيل إلى الطمأنينة في عالم لا يمكن التحكم فيه.

٦- قول الإمام الشافعي[١]:

يُخاطبني السفيهُ بكل قبحٍ فأكرهُ أن أكون له مُجيبا

يزيد سفاهةً فأزيد حلمًا كعودٍ زادهُ الإحراق طيبا

يذكر الإمام الشافعي أن السفيه هو الذي لا يحترم الناس، وكثيرا ما يخاطب الفضلاء من الخلائق بكل قبح وسفاهة، وإذا قُدِّر لي مواجهة مثل هذا الإنسان فإني أربأ بنفسي أن أجيبه [٢].

وكلمة (حِلْمًا) في البيت قد تفهم على أنها العقل، فـ (الحِلْم) بكسر الحاء وسكون اللام في اللغة بمعنى الأناة والعقل[٣] قال تعالى: { **أَمْ تَأْمُرُهُمْ**

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص٣٣.

(٢) شرح ديوان الشافعي: ص ٥٨.

(٣) ينظر: تاج العروس (حلم)، ٥٢٦/٣١، والقاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، (حلم)، ص١٠٩٦.

أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}[١] .

لكن القرينة التي تحيط بها في البيت والمتمثلة في ألفاظ (السفيه – يزيد – الإحراق) تُوجهها إلى معنى ضبط النفس، وعدم الانفعال، وكفّ الغضب عند القدرة، والرزانة في المواقف، وتتأكد الدلالة من خلال التشبيه بـ **(العود)** كلما زاد إحراقه انتشرت رائحته العبقة الفواحة وشذاه العطر الجميل.

٧- قول الإمام الشافعي[٢]**:**

إنْ كُنتَ تغدُو في الذنوبِ جليدًا وتخافُ في يومِ المعادِ وعيدًا

فالمعنى المعجمي لكلمة (جليد) يعني القوة والصبر والثبات، يقال: رجلا جليدا، أي قويا شديدا[٣]، ومنه حديث عمر –رضي الله عنه– " **وكان أجوف جليدا** " [٤] أي، قويا في نفسه وجسمه، والجلد: الصلابة[٥].

قال ابن فارس: " الجيم واللام والدال أصل واحد وهو يدل على قوة وصلابة " [٦].

وهذه الكلمة غالبًا ما تستخدم في سياقات المدح، لكن السياق في البيت وجه المعنى إلى قاسي القلب، الذي لا يتأثر بكثرة الذنوب ولا يستحي من الوقوع في المعاصي، وكأن قلبه متبلد أو قاسٍ.

فالسياق حول الكلمة من معناها المألوف من الإيجابية (الثبات

(١) سورة الطور: ٣٢.

(٢) من الكامل، وهو في ديوانه: ص٥٧.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨٤/١.

(٤) صحيح مسلم، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت–، رقم الحديث (٦٨٢) ٤٧٦/١.

(٥) لسان العرب (جلد) ١٢٥/٣.

(٦) مقاييس اللغة (جلد) ٤٧١/١.

المحمود) إلى الدلالة السلبية (الثبات على الخطأ والجرأة على المعصية دون خجل)، والقرينة عبارة **(تَغْدُو في الذنوبِ)** أي: تمارس المعاصي أو تستمر في اقترافها.

٨- **قول الإمام الشافعي**[١]:

وجدتُ سكوتي مُتجرًا فلزمتهُ إذا لم أجد ربحًا، فلستُ بخاسرِ

وما الصمتُ إلا في الرجالِ متاجرٌ تَمتُّ إلى التوفيقِ وهو نوافِرُ

المعنى المعجمي للفظ **(متجر)** هو موضع أو وسيلة للبيع والشراء والربح التجاري، و**(متاجر)** تعني مجالات للربح والكسب[٢]، هذه الألفاظ عادةً ما تُستخدم في البيع والربح المادي.

لكن الشافعي استخدمها مجازًا، في سياق الحديث عن (الصمت) ليُشير إلى أن الصمت يحقق مصلحة، ويحمي من الخسارة (كالندم أو العار) ويُكسب المرء وقارًا وهيبة، فالإمام الشافعي يشبّه (الصمت) بـ (التجارة) أي أن الصمت موقف حكيم يدرّ نفعًا أو يَقي الخسارة، ويضيف أن الصمت متاجر بين الرجال، أي أنه ميزة ووسيلة للربح المعنوي في المواقف.

فالمعنى هنا ليس تجارة مال، بل تجارة سلوك وأخلاق، حيث يكون السكوت موقفًا حكيمًا ورمزا للتعقل والحكمة، يُربَح منه معنويًا، لكن في غير هذا السياق تحيل تلك الألفاظ إلى البيع والشراء المادي، وهو ما لا يقصده الشاعر.

---

(١) من الكامل، وهو في ديوانه: ص٦٣.

(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، (تجر) ٢٨٤/١، والمعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، (تجر) ٨٢/١.

٩- قول الإمام الشافعي[١]:

جراحاتُ السنان لها التئامٌ ولا يلتامُ ما جرح اللسانُ

السِّنان: رأس الرمح[٢]، ويُشير إلى الجراح الجسدية الناتجة عن الطعن، واللسان: هو عضو النطق الحسي.

يتجلى أثر السياق اللغوي في البيت بوضوح في توجيه المعنى المقصود، لا سيما في التمييز بين الجراح المادية والمعنوية، فالمقصود بجرح اللسان هنا الجرح المعنوي والنفسي (كالسب، والكلام المؤذي، الإهانة، الغيبة...) وليس العضو الحسي، بل الكلمة المؤذية، وأنها تفوق جراح (السنان) في عمق الأثر.

استخدم الإمام الشافعي أسلوب المقابلة بين (جرح السنان) في الشطر الأول من البيت، و (جرح اللسان) في الشطر الثاني، فالشطر الأول يقدم جرحًا حسيًا يمكن شفاؤه (جرح السنان)، والشطر الثاني يقابله بجرح معنوي لا يندمل (جرح اللسان).

هذا التقابل السياقي لا يوضح فقط نوعين من الجراح، بل يُبرز المفارقة في الأثر، فالجراح الجسدية تُشفى، بينما الكلمات الجارحة تترك أثرًا دائمًا في النفس، فالسياق اللغوي يُعيد توجيه الفهم من المعنى الظاهري إلى المعنى الأخلاقي، وبدون هذا السياق، قد يُفهم (جرح اللسان) على أنه جرح عضوي.

١٠- قول الإمام الشافعي[٣]:

تموتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جُوعًا ولحمُ الضأنِ تأكلهُ الكلابُ

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص١٤١.

(٢) ينظر: الصحاح (سنن) ٢١٤٠/٥، ولسان العرب (سنن) ٢٢٣/١٣.

(٣) من الوافر، ينظر: ديوانه: ص٣١.

يُظهر السياق اللغوي أثرًا بالغًا في تحديد المعنى الحقيقي، ويتضح ذلك من خلال:

١- تركيب الجملة وبنيتها: فالعبارة مكونة من جملتين متقابلتين:

جملة: **(تموتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جُوعًا)**: جملة خبرية تُصوّر مشهدًا مأساويًا لأسودٍ تموت جوعًا رغم كونها رمز القوة والشجاعة. وجملة: **(ولحمُ الضأنِ تأكلهُ الكلابُ)** جملة خبرية مضادة تُظهر أن الكلاب، وهي أدنى مرتبة، تنعم بما هو أفضل، فالسياق اللغوي هنا يُبرز المفارقة، وهي أداة بلاغية توصل المعنى الرمزي العميق.

٢- المعنى الحقيقي مقابل المجازي: فالمعنى الحقيقي للأسود والكلاب ظاهر، فالأسود حيوانات مفترسة تموت جوعًا، والكلاب تأكل لحم الضأن، لكن السياق اللغوي الكامل يدل على أن الشاعر لا يقصد المعنى الحرفي فقط، بل يُشير إلى أن (الأُسْد) يراد بهم العظماء أصحاب القيم، و (الكلاب) يراد بهم اللئام ممن لا يستحقون، ولولا هذا السياق، لفُهمت الجملة على أنها ملاحظة عن الحيوانات فقط، لكنها في سياقها اللغوي تحمل معنى اجتماعيًا وأخلاقيًا.

٣- الربط بين الجملتين: حرف العطف (الواو) يربط بين الجملتين، لكن التوازي بينهما يُعزز الضدية ويُلفت الانتباه إلى التناقض بين الحالين، مما يُرشد القارئ إلى أن المقصود ليس ظاهر اللفظ فقط.

فمن خلال الصورتين، يصوغ الشاعر نقدًا اجتماعيًا لاذعًا لحال الدنيا التي يُحرم فيها أهل الفضل وتُغدق فيها النعم على غير أهلها، كما أن الأفعال (تموت) و (تأكل) جاءت متقابلة لتعميق المفارقة وإبراز اختلال موازين العدالة، فـ (تموت) ترتبط بالحرمان والفقر، و (تأكل) ترتبط بالنعم والوفرة.

ويتجلّى أثر السياق اللغوي في توجيه المعنى وتحديد دلالته بوضوح في أن مقصد الشافعي ليس وصف حال الحيوانات، بل تسليط الضوء على ظلم الواقع، الذي يُهمل الكرماء ويُكرم اللئام، ومن دون هذا السياق، يضيع المعنى المراد، ويُفهم الكلام على ظاهره فقط.

المطلب الثاني

السياق المقامي وأثره في توجيه المعنى

السياق المقامي هو الظرف الخارجي أو الحال النفسية والاجتماعية والفكرية التي تقال فيها العبارة أو البيت الشعري، ويُعد مكمّلًا للسياق اللغوي في تحديد المعنى.

والسياق المقامي في ديوان الإمام الشافعي له دور محوري في تحديد المعنى المقصود من الألفاظ والتراكيب؛ إذ لا يمكن فهم كثير من أبياته فهمًا دقيقًا دون استحضار المقام الذي قيل فيه، سواء أكان مقام وعظ، أو مناظرة، أو شكوى، أو حكمة، فالمعاني تتشكل وتُحدد حسب الغرض الذي يُقال فيه الشعر، وليس فقط من خلال اللغة الظاهرة.

ومما يمثل هذا النوع من السياق في ديوان الإمام الشافعي، ما يلي:

١-قول الإمام الشافعي[١]:

نعيبُ زماننا والعيبُ فينا وما لزمانِنا عيبٌ سوانا

السياق المقامي في هذا البيت يُشير إلى الظروف التي دفعت الإمام الشافعي لقول هذا الشعر، والهدف الذي أراد تحقيقه من خلاله، حيث نلاحظ في هذا السياق أن:

المتكلم (الشافعي): فقيه وأديب، عُرف بالحكمة والإصلاح، يتحدث من موقع الناصح الاجتماعي.

المخاطب: أفراد المجتمع الذين يلومون الزمن أو الظروف على ما يقع من فساد أو مشكلات دون أن يُراجعوا أنفسهم.

المقام أو الحالة: انتشار ظاهرة إلقاء اللوم على الزمان بدلًا من

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص١٠٠.

الاعتراف بأخطاء الذات، والمقام هنا مقام نقدٍ أخلاقي وإرشادٍ توعوي وإصلاح اجتماعي.

الغرض من البيت: تصحيح نظرة خاطئة، وهي أن الزمن سبب الفساد، بينما الحقيقة أن الخلل في سلوك الناس أنفسهم، فالشافعي يريد إرجاع المسؤولية إلى الإنسان لا إلى الزمن أو الظروف.

فالسياق المقامي في قول الشافعي يكشف أن هذا البيت ليس مجرد وصف لحال الناس، بل هو دعوة إلى محاسبة النفس وترك عادة لوم الزمان، وتحمّل المسؤولية عن الأخطاء، فالمعنى العميق يتجلّى فقط عند فهم ما قاله، ولماذا قاله، ولمن وجّهه ؟ فالسياق يؤكد أن الزمان بريء، والعيب ناتج عن أفعال البشر.

ولولا سياق المقام، لأمكن أن يُفهم (نعيب زماننا) على أنه شكوى من قسوة الدهر، كأنه شخص مسؤول عن المصائب، لكن بوجود الشطر الثاني (وما لزماننا عيب سوانا) يُعاد توجيه المعنى من اللوم المجرد للدهر إلى البشر كمصدر للخلل، ونقد الذات والمجتمع.

٢- قول الإمام الشافعي[١]:

إذا المرءُ أفشى سِرَّه بلسانه ولام عليه غيرَه فهو أحمقُ

السياق المقامي في البيت يُشير إلى التنبيه على خطأ في السلوك الاجتماعي، فالإمام الشافعي يلفت الانتباه إلى أن حفظ السر يبدأ من صاحبه، وليس من الآخرين، وبتحليل السياق في البيت نجد أن:

مقام المتكلم: الإمام الشافعي يتحدث هنا بصوت الناصح الحكيم، مستخدمًا نبرة التوجيه الأخلاقي بأسلوب قاطع ومباشر.

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٨٣ .

مقام المخاطب: المخاطَب هنا هو كل من يبوح بأسراره للآخرين ثم يلومهم إذا نُشرت، وهو سلوك شائع في المجتمعات.

مقام الحال: البيت قيل في مقام معالجة خطأ سلوكي يتمثل في عدم تحمّل الإنسان مسؤولية كلماته، والاعتماد على الآخرين لحفظ خصوصياته.

الوظيفة التواصلية: الشافعي في هذا السياق ينبّه إلى أن حفظ السر يبدأ من صاحبه، وأن لوم الآخرين على كشف سرٍ أفشاه الإنسان بنفسه يُعد نوعًا من الحمق.

فالسياق المقامي في هذا البيت يوضّح أن الشافعي لا يكتفي بالوعظ، بل يُعالج موقفًا واقعيًا، ويُعيد ترتيب المسؤوليات، وهذا المعنى لا يظهر بوضوح دون معرفة مقام النصح ومجال الخطاب الاجتماعي الذي ورد فيه البيت.

٣- **قول الإمام الشافعي**[١]:

ما حكّ جلدَك مِثْلُ ظُفرك فتولَّ أنت جميعَ أمرك

السياق المقامي في بيت الشافعي يجعل المعنى أعمق من ظاهره، وينقله من مجرد تشبيه جسدي إلى مبدأ أخلاقي واجتماعي، ويُبرز الأثر الحواري للنص كخطاب توجيهي مؤثر.

فالإمام الشافعي وجه خطابه إلى فرد يعاني من مشكلة أو ينتظر مساعدة من الآخرين، وقد يكون طالب علم أو شخصًا يمر بصعوبات حياتية، والحال توحي بأن المخاطب في موقف يحتاج فيه إلى نصيحة، ربما بسبب اعتماده على غيره أو عجزه عن اتخاذ قرار مستقل، والغرض من الكلام نصيحة تحث على الاعتماد على النفس، والتأكيد أن لا أحد سيهتم

(١) من مجزوء الكامل المرفل، وهو في ديوانه: ص ٨٥.

بك أو يساعدك بقدر ما تهتم أنت بنفسك[1]، والبيت قيل في مقام الحث على الاعتماد على النفس.

أثر السياق المقامي في البيت:

لولا السياق المقامي قد يُفهم بشكل عام كتشجيع على النشاط، أو أنه مجرد وصف جسدي **(ما حك جلدك مثل ظفرك)**، لكن السياق المقامي يحوّله إلى تشبيه مجازي يعكس فلسفة حياتية، ويوجه المعنى توجيهاً قوياً نحو الاستقلال الذاتي والاعتزاز بالكفاءة الشخصية، وهو معنى لا يُفهم بدقة إلا عند ربطه بهذا السياق .

٤- قول الإمام الشافعي[2]:

دعِ الأيامَ تَغْدرُ كلَّ حينٍ فما يُغني عن الموتِ الدواءُ

السياق المقامي هو المفتاح لفهم هذا البيت؛ إذ يكشف أن المعنى المقصود ليس السلبية، بل التسليم لحكمة الله في مواجهة أقدار الحياة، وبدونه قد يُساء فهم القول على أنه دعوة للاستسلام للغدر.

فالشافعي وجه خطابه إلى إنسان يمر ببلاء أو قلق من تقلبات الدهر، ربما يبحث عن طمأنينة، والحال موقف من الشكوى أو الانزعاج من المصائب، حيث تبدو الأيام وكأنها تغدر، وغرض الكلام تهدئة النفس، وبث فلسفة الزهد والرضا بالمقادير، فالسياق المقامي في البيت هو التسليم المطلق لحكم القدر.

أثر السياق المقامي في البيت:

لولا السياق المقامي قد يفهم القارئ أنه دعوة للانهزام أو الاستسلام للغدر، فالسياق وجه المعنى إلى التسليم لحكم الله والرضا بالقدر، وضرورة التوكل.

---

(١) ينظر: شرح ديوان الشافعي وحكمه: ص ١٣٦.

(٢) من الوافر، وهو في ديوانه: ص ٢٧.

٥- قول الإمام الشافعي[١]:

أرى الغِرّ في الدنيا إذا كان فاضلاً تَرَقّى على رُؤُوس الرجال ويَخطُبُ

الإمام الشافعي قال البيت في مقام التحسر على تجاهل الناس لفضل الأكفاء وتقديم من لا يستحق، حيث ينتقد في هذا البيت اختلال الموازين في المجتمع، حيث يُرفع من لا يستحق؛ فقط لأنه يتظاهر بالفضل أو يحظى بدعم سطحي.

ويتجلّى أثر السياق المقامي في هذا البيت في توجيه المعنى من ظاهر المدح إلى نقد اجتماعي ساخر، فـ(الغِرّ) في اللغة يُطلق على الشخص الجاهل الذي لم يجرب الأمور أو قليل الخبرة[٢]، فالسياق المقامي يكشف أن الشافعي لا يمدح (الغرّ)، بل ينتقد واقعًا منحرفًا تُقدَّم فيه المظاهر على الجوهر، فيُفضَّل المتصنع على العالم، والسطحي على العميق.

فالسياق المقامي وجه دلالة البيت من المدح الظاهري إلى تقريع مبطَّن واستهجان لحال المجتمع.

٦- قول الإمام الشافعي[٣]:

سِهَامُ الليلِ لا تُخطئ ولكنْ لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءُ

البيت قيل في سياق مقام الدعاء والمناجاة، فالإمام الشافعي هنا يعظ ويواسي ويخاطب مظلومًا أو داعيًا متألمًا، فيطمئنه بأن دعاء الليل – الذي يشبهه بالسهام – لا يخطئ الإصابة، لكنه يحتاج إلى وقت محدد يتحقق فيه

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص ٣٦.

(٢) ينظر: الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لأبي منصور الهروي، تح/ مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع، ص٢٤٨، ولسان العرب (غمر) ٣٢/٥.

(٣) من الوافر، وهو في ديوانه: ص ٢٧.

أثره، فـ (سهام الليل) ترمز إلى الدعاء في الليل، خصوصًا دعاء المظلوم، فهي لا تخطئ أبدا من قدرت له[١].

ويتجلّى أثر السياق المقامي في توضيح المعنى الحقيقي لهذا البيت، إذ يبدو في ظاهره تقريرًا عن فعالية الدعاء، لكن السياق يكشف أنه كلام يُقال في مقام الصبر والشكوى وانتظار الفرج، وهذا المعنى لا يُفهم إلا من خلال السياق الذي يُبرز مقام الدعاء والتوكل والانتظار.

فالسياق المقامي وجه المعنى بدقة، ونقل البيت من مجرد تشبيه بلاغي إلى رسالة إيمانية صابرة تؤكد على الثقة بالله وانتظار وعده دون استعجال.

٧- **قول الإمام الشافعي[٢]:**

ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متلونٍ إذا الريحُ مالتْ مالَ حيثُ تميلُ

الإمام الشافعي هنا يتحدث من مقام الناصح المجرب، محذرًا من صداقة المتلونين الذين يُظهرون المودة لا لصدق الشعور، بل لتحقيق مصالحهم، ويُخاطب في هذا المقام من يرتكب خطأ الوثوق بمن لا ثبات له في المواقف، أو من يعاني من خيانة العلاقات الزائفة، فالبيت قيل في مقام النفاق والتلوّن في العلاقات.

أثر السياق المقامي في البيت:

من دون سياق المقام، قد يبدو البيت هجاءً، وقد يُفهم أن الشافعي يذم أشخاصًا بحدّة شخصية، لكن السياق المقامي يكشف أن المعنى أعم، فهو درس أخلاقي واجتماعي عميق، وتحذير من طبع المتملقين، الذين لا يُعوَّل عليهم في الشدائد؛ لأنهم يتلونون بحسب مصالحهم، كما تتغير الريح.

---

(١) ينظر: شرح ديوان الشافعي: محمود بيجو، ٥٣.

(٢) من الطويل، وهو في ديوانه: ص ٨٨.

فلولا السياق، قد يبدو البيت هجاءً، لكن بفهم مقامه، يتضح أن كلمة (الود) هنا لا تُفهم على حقيقتها إلا في ضوء هذا المقام؛ فهي ليست مودة صادقة، بل مودة ظاهرية زائفة، تُظهر الولاء وتخفي المصلحة، كذلك فإن تشبيه المتلون بالرياح التي تميل حيث تميل، لا يُفهم على أنه مجرد تصوير بلاغي، بل هو في السياق إدانة للخيانة والتقلب بحسب الهوى.

٨- **قول الإمام الشافعي**[١]:

صُنِ النفس واحملْها على ما يزينُها تَعِشْ سالمًا والقولُ فيكَ جميلُ

الإمام الشافعي في هذا البيت يخاطب المتلقي في سياق تربوي في مقام يهدف إلى تهذيب النفس وتوجيهها نحو مكارم الأخلاق وحفظ الكرامة .

أثر السياق المقامي في البيت:

يظهر أثر السياق المقامي بأن البيت ليس مجرد موعظة عامة، بل توجيه سلوكي عملي يُظهر أثر تزكية النفس في حياة الفرد ومكانته بين الناس، فالمعنى الحقيقي لا يتضح إلا بربط الألفاظ بالحال والمقام الذي ورد فيه القول، وهو مقام الإصلاح الذاتي وبناء الشخصية.

فكلمة **(صُنِ النفس)** قد تُفهم في ظاهرها على أنها دعوة إلى حفظ الذات، لكن السياق يُظهر أن المقصود هو السمو بها عن الدنايا والأفعال المشينة، وليس فقط الحماية الجسدية أو المادية، والفعل **(احملها)** يُفهم من خلال المقام أنه لا يعني الإكراه فقط، بل التهذيب والتربية المستمرة، أي أن النفس تحتاج إلى جهد حتى تُوجَّه لما يُزينها.

وعبارة **(تعش سالمًا والقول فيك جميل)** تُبرز ثمرة هذا التهذيب في ضوء السياق، وهي السلامة في الحياة، والسمعة الطيبة بين الناس، ما يدل

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص ٨٧.

على أن المقام لا يقتصر على الذات، بل يمتد إلى القبول الاجتماعي والمكانة الأخلاقية.

٩- قول الإمام الشافعي[١]:

ما في المقامِ لذي عقلٍ وذي أدبِ من راحةٍ، فدعِ الأوطانَ واغترِبِ

الإمام الشافعي يتحدث في هذا البيت في مقام الحثّ على طلب العلم والسفر عندما يكون المقام في الوطن لا يحقق الطموح أو النمو، فهو ينصح طالب العلم أو من يسعى للترقّي في الحياة، وكان يتحدث من تجربته الشخصية، إذ ارتحل من مكة إلى المدينة ثم العراق ومصر، في طلب العلم والفقه.

فالإنسان العاقل الذي يشعر بالكرامة لا يطيب له العيش والمقام في بلد لا يستطيع أن يقدم شيئا لمن هم حوله، ويستفيد هو نفسه من هذا المقام؛ لذلك فمغادرة الأوطان في مثل هذه الحالة لازمة [٢].

أثر السياق المقامي في توجيه المعنى:

من خلال هذا المقام، نفهم أن المعنى ليس دعوة عامة لترك الوطن، بل هو توجيه للعاقل صاحب الطموح، فالبقاء في مكان لا يحقق فيه أهدافه العلمية أو المعنوية لا يعود عليه بنفع، فقوله: **(ما في المقام)** أي: البقاء في الوطن أو المكان المعتاد، وقوله: **(لذي عقل وذي أدب)** أي الإنسان الطموح، العاقل، الذي يريد السعي والكمال، والمعنى في سياقه: أن البقاء في المكان نفسه لا يجلب راحة أو نجاحًا، فالأفضل أن يسافر يتعلم ويجتهد.

فالسياق المقامي هنا يجعل المعنى دقيقًا، أنه دعوة لترك الراحة

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص ٣٦.

(٢) شرح ديوان الشافعي: ص ٦٠.

المؤقتة في سبيل طلب الكمال، وهو لا يُفهم كدعوة لهجر الوطن إلا إذا فهمنا أن الشافعي كان يخاطب طلاب العلم أو من يعانون من ضيق السُبل في أوطانهم، وليس المعنى دعوة لهجر الأوطان عبثًا، بل هو تحفيز للسعي والتغريب من أجل الرقي، موجّه لطالب العلم والعاقل المتأمل، في موقف يدعو إلى الاجتهاد لا الركون.

١٠-قول الإمام الشافعي[١]:

سافِر تجد عوضًا عمَّن تفارقهُ وانصِبْ فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصَبِ

تحدث الإمام الشافعي انطلاقًا من تجربته الشخصية في السفر والتعب في سبيل العلم، في هذا البيت عن الحث على الاجتهاد وطلب الرزق أو العلم، فمن يغامر ويسافر ويغترب فسوف يجد بديلا عمن يفارقهم من الأحباب والأصحاب، وهو بعمله هذا سوف يلقى بلا شك نوع بل أنواعا من المشقة، ولكن هل تلذ الحياة إلا إذا مزجت بالجهد والتعب [٢]، والسياق المقامي هنا هو النصح لطالب العلم أو من ضاق به المقام في بلده.

أثر السياق المقامي في البيت:

من خلال هذا السياق، نفهم أن الشافعي لا يدعو إلى السفر لمجرد الترحال، وإنما يدعو إلى السفر النافع طلبًا للعلم، أو الكسب، أو التجربة، ويشجع على الصبر على التعب (النَّصَب)؛ لأن ثمرة الجهد تأتي بعد المعاناة، يعطي أملاً بأن الفراق مؤقت، وأن العوض حاصل، وهذا يُطمئن المتلقي.

ولو قرأنا البيت خارج سياقه، قد نفهم أنه مجرّد تشجيع على السفر أو الغربة، لكنّ السياق المقامي يوجّه المعنى إلى أنه تحفيز للتضحية والكدح

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص ٣٦.

(٢) ينظر: شرح ديوان الشافعي: ص ٦٠، ٦١.

في سبيل غاية كبرى، وهي أن التعب والسفر هما طريق النجاح وسعة الرزق، وهذا لا يُفهم من الألفاظ وحدها، فقوله: **(سافر تجد عوضًا عمّن تفارقه)** أي: فراق الأحباب أو الوطن مؤلم، لكن فيه أمل بالعوض، وقوله: **(وانصب فإن لذيذ العيش في النصب)** أي اللذة الحقيقية لا تكون إلا بعد التعب، فالسياق يحمل قيمة العمل والاجتهاد.

المطلب الثالث

السياق الثقافي وأثره في توجيه المعنى

لقد عاش الإمام الشافعي في بيئة علمية خصبة، شهدت ازدهار المدارس الفقهية، واشتداد النقاشات الكلامية، وتنامي حركة الترجمة والاطلاع على الثقافات الأخرى، مما أتاح له تكوين رؤية شاملة تنعكس في شعره، وكان للثقافة الإسلامية بأبعادها الدينية واللغوية والأخلاقية أثر بالغ في تشكيل مضمون أشعاره وتوجيه دلالاتها، فالشافعي لا يكتب الشعر لهدف فني بحت، بل يستثمره وسيلة للتعبير عن معتقداته، ونقل حكمته، والدعوة إلى مكارم الأخلاق والاعتدال في السلوك، ومن هنا فإن فهم ديوانه فهما دقيقًا يقتضي الوقوف عند السياق الثقافي الذي شكّل خلفية هذا النتاج الأدبي، إذ إن كثيرًا من معانيه تُستنبط من مرجعيات دينية، وأعراف اجتماعية، وقيم أخلاقية كان لها حضور قوي في حياة الناس وعقولهم في ذلك العصر.

ولقد لعب السياق الثقافي في ديوان الإمام الشافعي دورًا جوهريًا في صياغة مضامين شعره وتوجيه دلالاته، بما يتضمنه من قيم دينية، ومعايير أخلاقية، وأنساق اجتماعية، حيث يتمثل السياق الثقافي في عصر الإمام الشافعي في البيئة العلمية والدينية في العصر العباسي، ومن خلال التأثيرات الفكرية والثقافية (كعلم الكلام، الفقه، الزهد)، بالإضافة إلى القيم الاجتماعية والأخلاقية السائدة.

وسوف نبين في هذا المطلب أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى في شعر الإمام الشافعي، وذلك من خلال تحليل نماذج مختارة من ديوانه، وبيان كيف أن فهم هذه الأبيات لا يكتمل إلا باستحضار المرجعيات الثقافية التي كانت سائدة في عصره.

١- **قول الإمام الشافعي[١]:**

كلُّ العلومِ سِوى القرآنِ مَشْغَلَةٌ إلا الحديثَ وعِلْمَ الفقهِ في الدينِ

العلمُ ما كانَ فيه قالَ حدَّثَنا وما سِوى ذاكَ وَسْوَاسُ الشياطينِ

عاش الإمام الشافعي في القرن الثاني الهجري، في زمن ازدهرت فيه حركة الترجمة، وبدأت تدخل إلى المجتمع الإسلامي علوم الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، من الثقافات اليونانية والفارسية والهندية، وفي المقابل، كانت هناك نهضة فقهية وحديثية كبيرة، حيث بدأ تدوين الحديث وتأسيس أصول الفقه وضبط المذاهب، هذا خلق حالة توتر ثقافي بين العلوم الشرعية والعلوم العقلية، خصوصًا مع تصاعد بعض الاتجاهات الفكرية (كالمعتزلة) التي قدّمت العقل على النص، فكانت هناك مخاوف من أن تؤدي هذه العلوم الدخيلة إلى الانصراف عن علوم الشرع، وخاصة القرآن والحديث والفقه[٢].

لذلك، يُفهم قول الشافعي على أنه ردّ ثقافي على ظاهرة اجتماعية واقعية، لا إنكارًا للعلم مطلقًا، بل بيانٌ لأولويات العلم في مجتمعه الذي كان يقدّس النص ويؤسس لتقنين الشريعة.

معنى البيت على ظاهره:

قد يُفهم ظاهر القول على أنه رفض أو إنكار أو انتقاص من كل العلوم غير القرآن، أو تقليل من قيمتها، لكن هذا الفهم يبتعد عن المعنى الحقيقي ما لم نُدخِل السياق الثقافي والعلمي لعصر الشافعي في التحليل، فالمعنى الحقيقي لا يُفهم من ظاهر البيتين فقط، بل من ثقافة زمنه التي كانت تؤسس لهوية علمية شرعية واضحة، في مقابل مدٍّ فلسفي وافد.

(١) ينظر: شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه: ص ١٣.

(٢) من البسيط، وهو في ديوانه: ص ١٠٦.

أثر السياق الثقافي:

يظهر أثر السياق الثقافي بوضوح في توجيه المعنى الحقيقي لهذا القول، حيث يجب فهمه في إطار البيئة العلمية والثقافية في عصر الشافعي، لا بوصفه رفضًا قاطعًا لسائر العلوم، بل بوصفه تقييمًا نابعًا من أولويات المجتمع الإسلامي آنذاك.

فيدل مصطلح **(العلم)** في السياق الثقافي في كلام الشافعي على أنه العلم الديني (تفسير القرآن، الحديث، والفقه) أما العلوم الأخرى، فقد كانت تُسمى بـ (العلوم الأجنبية) أو (علوم الأوائل).

ومن هذا المنظور، يكتسب الشطر: **(العلم ما كان فيه قال حدّثنا)** معناه الحقيقي بأنه العلم الحقيقي في عرف الثقافة الإسلامية آنذاك وهو العلم المنقول بالسند الموثوق، أي المدوَّن في شكل رواية عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– وهو ما يشير إليه بلفظة **(حدّثنا)** الذي يدل على ثقافة السند والنقل التي كانت ركيزة العلم الشرعي في ذاك العصر، أما ما لم يكن كذلك، فكان يُنظر إليه بشك أو تحفّظ في بعض الأوساط، خاصة إذا تعلق بالفلسفة والمنطق.

فالشافعي يستخدم لهجة قوية بقوله: **(وما سوى ذاك وسواس الشياطين)** هذه العبارة تعكس روح الجدل الثقافي السائد في عصره، حيث كان هناك صراع ناعم بين الاتجاهات العلمية العقلية (كالمعتزلة والفلاسفة) والاتجاهات النصية (كأهل الحديث والفقهاء)؛ لذا، هذا البيت يعكس موقفًا محافظًا يرى في الانشغال بالعلوم غير الشرعية نوعًا من الضياع عن المقصد الأعلى، لا لذاتها؛ بل لأنها تُلهي عن الغاية الأساسية، وهي فهم الدين.

وخلاصة القول فإن السياق الثقافي في البيتين وجه المعنى من رفضٍ للعلوم الأخرى إلى التحذير من الانشغال بها على حساب العلم الحقيقي

في عرف الثقافة الإسلامية آنذاك وهو العلم المنقول بالسند الموثوق.

٢- **قول الإمام الشافعي**[١]:

تَوكّلتُ في رِزْقِي على اللهِ خَالِقِي وأيْقَنْتُ أنَّ اللهَ لا شكَ رَازِقِي

البيت يعكس مفهومًا ثقافيًا دينيًا متجذرًا في الفكر الإسلامي، وهو الثقة بأن الرزق من الله، ولكن لا يعني ترك السعي، من دون الإلمام بهذا السياق، قد يظن القارئ أن الشافعي يدعو للكسل أو الاتكال السلبي، بينما هو يتحدث عن يقين داخلي مبني على الإيمان، لا عن ترك الأسباب، فهذا البيت يُجسد ثقافة شخصية واجتماعية معًا: ثقافة الزهد، العزة، والاعتماد على الله لا على الناس.

الفهم الظاهري للبيت:

على المستوى الظاهري، البيت يُعبّر عن ثقة الشافعي في أن الله هو مصدر الرزق الوحيد، وفيه دعوة إلى التوكل وترك التعلق بالأسباب الظاهرة، لكن هذا المعنى لا يُفهم كاملًا إلا في ضوء السياق الثقافي والاجتماعي الذي عاشه الشافعي، حيث تتضح أبعاد أعمق لفكرة التوكل والرزق في بيئته.

فالبيئة التي عاش فيها الشافعي يغلب فيها القلق المادي، ففي العصر العباسي، ظهرت طبقات اجتماعية متفاوتة: الخلفاء، والولاة، والعلماء، والفقهاء، والتجار، والفقراء، وكان كثير من العلماء يعيشون في كفاف أو فقر، وكان التكسّب بالعلم قضية جدلية: هل يأخذ الفقيه أجرًا على علمه؟ أم يزهد؟ هذا خلق حالة من القلق الوجودي بشأن الرزق، خاصة عند من اختار الزهد أو رفض التكسّب من العلم، وفي تلك المرحلة، سادت

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص ٨٤.

ثقافة ترى أن الرزق بيد الله وحده، والتوكل من أعلى درجات الإيمان، وقد تأثرت هذه الثقافة بتراث الزهد والورع، الذي كان يُعلي من شأن الاعتماد على الله، ويقلل من التعلّق بالسلطان أو الناس.

أثر السياق الثقافي:

يظهر أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى الحقيقي، فقوله: **(تَوكّلتُ في رِزْقِي على اللهِ خَالِقِي)** لا يعني ترك العمل أو السعي، بل يعني رفض التعلّق بالمخلوقين، وخصوصًا في مجتمع بدأ فيه بعض العلماء يعتمدون على عطايا الخلفاء أو يتقربون إلى السلطان.

وقوله: **(وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي)** تعبير عن ثقة داخلية في كفاية الله، في مقابل ثقافة مجتمعية قد تشجع على التزلّف أو التحايل من أجل المال، فالمعنى الحقيقي هنا يتجاوز التوكل الفردي، ليعكس موقفًا ثقافيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا يعكس ثقافة الزهد، ورفض التكسّب من الدين، والاعتزاز بالاعتماد على الله وحده لا على الناس.

٣-قول الإمام الشافعي[١]:

أعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِ السَّفيهْ فكلُّ ما قالَ فهوَ فيهْ

البيت يعكس مفهومًا راسخًا في الثقافة الإسلامية، وهو ثقافة الترفع عن الجدل، ففي المجالس الأدبية والاجتماعية، كان الترفع عن مجادلة السفيه يُعدّ من دلائل الحكمة والهيبة.

المعنى الظاهري للبيت:

البيت يدعو إلى الإعراض عن السفيه؛ لأن كل إساءته تعود عليه، أي أن السبّ والشتم لا يعبّر عن المسبوب بل عن السابّ نفسه، لكن لفهم

(١) من مخلّع البسيط، وهو في ديوانه: ص ١١٣.

المعنى الحقيقي العميق، لا بد من استحضار السياق الثقافي الذي تكوّن فيه هذا القول، فالشافعي عاش في مجتمع يحترم الحِلم ويُعلي من مكانة الوقار، وفي الثقافة العربية والإسلامية، خُصصت منزلة عالية للحليم، واعتُبر الصبر على السفهاء علامة على العقل والوقار.

وكيف لا، والله سبحانه وتعالى قد أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم – أن يعرض عن الجاهلين، فقال تعالى: **{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }** (١).

ووصف المؤمنين بقوله:**{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ }**(٢). وقوله: **{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}** (٣)، والجاهلون: السفهاء الطائشون، فالإعراض عنهم أمر مستحسن فى الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض وأوفق للورع(٤).

فالشافعي حين يقول : **(أعرض عن الجاهل السفيه)** فإنه يتحدث ضمن منظومة ثقافية ترى أن الردّ على السفيه يُسقِط المروءة، ويضع العاقل في مرتبة واحدة مع من هو دونه أدبًا ومكانة، فالرد يجب أن يكون مع أهل العلم لا مع السفهاء، وقوله: **(فكل ما قال فهو فيه)** أي أن أوصاف السفيه تعود عليه لا على من وجّه إليه السب.

أثر السياق الثقافي:

يظهر أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى في البيت في أنه لا يتوقف عند كونه نصيحة أخلاقية عامة، بل هو تمثيل لثقافة أدبية وعلمية

(١) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

(٣) سورة الفرقان: ٦٣.

(٤) روح البيان: لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر – بيروت – ٢٤١/٦.

ترى أن الردّ على السفيه يُعدّ ضعفًا ويُفقد الإنسان وقاره، وأن الحلم والصمت قوة وهيبة، فالشافعي لا يُقدّم فقط توجيهًا فرديًا، بل يُعيد تأكيد قيمة ثقافية راسخة في مجتمعه، وهي أن الوقار والحلم يرفعان قدر الإنسان، ويُسقطان الخصم السفيه أمام الناس دون حاجة إلى ردّ.

٤- قول الإمام الشافعي[١]:

تَصَبّر على مُرّ الجَفَا مِنْ مُعَلّمٍ فإنّ رُسُوبَ العلمِ في نَفَراتِهِ

هذا البيت يُفهم عادةً على أنه دعوة للصبر على قسوة المعلّم، لكن السياق الثقافي في عصر الشافعي يلعب دورًا محوريًا في توجيه المعنى الحقيقي المقصود، ويتضح ذلك من خلال ثقافة التعليم في عصر الشافعي، فكان التعليم تلقينًا مباشرًا بين الشيخ والتلميذ، وكان المعلمون يتعاملون بشيء من الحزم والصرامة، مما قد يُنفر بعض الطلاب، فالشافعي يخاطب طلاب العلم ويحثهم على الصبر في سبيل العلم، حيث كان من المقبول اجتماعيًا أن يتصف المعلم بالصرامة أو القسوة في سبيل تهذيب النفس وتحفيز التحصيل.

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

السياق الثقافي يُظهر أن البيت ليس فقط دعوة للصبر على قسوة المعلّم، بل دعوة لفهم طبيعة العلاقة الاجتماعية بين الطالب والمعلم كما كانت آنذاك، كما يحمل رسالة ثقافية ترسّخ قيمة الانضباط والطاعة في طلب العلم، وهذا ما يجعل المعنى الحقيقي أن الجفا ليس نقصًا في المعلم، وأن (مرارة الجفا) لم تكن مذمومة، بل ضرورة تربوية عليك الصبر عليها، خاصة وأن المعلم (الشيخ أو الفقيه) كان يُنظر إليه كـ أبٍ روحي أو مرشد

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٤١.

أعلى، والصبر على جفائه لم يكن فقط فضيلة فردية، بل واجبًا اجتماعيًا وثقافيًا.

فالسياق الثقافي وجه معنى هذا البيت من مجرد نصيحة بالصبر، إلى دعوة ثقافية متكاملة تقرّ بضرورة الصبر على الشدة في طريق طلب العلم، وأن الجفا ليس عيبًا في المعلّم بل طبيعة مقبولة في ثقافة تُقدّس العلم وترى الصبر عليه من تمام الأخلاق.

٥- **قول الإمام الشافعي**[١]:

وأنطقتِ الدراهمُ بعد صَمتٍ أُنَاسًا بَعدمَا كانوا سُكوتا

يبين الإمام الشافعي في البيت أن المال يُعطي أصحابه الجرأة على الكلام والتأثير، حتى وإن كانوا في الأصل صامتين أو بلا قيمة في مجال الرأي أو الحوار[٢].

ولفهم هذا البيت على وجهه الحقيقي، لا بد من وضعه داخل السياق الثقافي والاجتماعي لعصر الشافعي، فزمن الشافعي (القرن الثاني الهجري)، بدأت تظهر علامات التحول الطبقي في المجتمع، حيث ارتفع أصحاب المال في المكانة الاجتماعية، بدأت قيمة الرأي تُشترى وتُباع، وأصبح المال وسيلة للنفوذ والجاه أكثر من العلم أو الحكمة.

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى الحقيقي:

المعنى الحقيقي للبيت لا يُفهم إلا من خلال فهم ثقافة عصر الشافعي، وصراعه مع الانحراف عن القيم الأصيلة، فالبيت ليس في تمجيد المال، بل في التقليل من قيمة الكلمة حين لا تصدر عن أهلها، فالبيت يُفهم هنا على أنه نقد اجتماعي ساخر لواقعٍ أصبحت فيه الكلمة تُشترى، والمتكلم

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص٤٢.

(٢) ينظر: شرح ديوان الإمام الشافعي: ص ٦٥.

يُسمَع لا لعلمه، بل لماله، فالبيت يحمل لهجة نقد اجتماعي لاذعة، ويُعبّر عن مرارة الشافعي من انقلاب القيم في زمنه.

٦-قول الإمام الشافعي[١]:

كلُّ العداواتِ قد تُرجى مَوَدّتُها إلّا عداوةَ من عاداكَ عَنْ حَسَدِ

البيت يعكس حكمة اجتماعية ثقافية بأن كل عداوة يمكن أن تُحلّ؛ لأنها مبنية على سبب مفهوم (كغضب، خلاف، منافسة...)، إلا الحسد، لأنه عداوة نابعة من خلل في القلب، ولفهم المعنى فهمًا دقيقًا، لا بد من النظر إلى السياق الثقافي والاجتماعي الذي عاش فيه الإمام الشافعي، وهو ما يكشف المعنى العميق الكامن خلفه.

فالمجتمع في عصر الشافعي كان يقدّس قيم العفو، والصلح، وإعادة الروابط حتى مع الأعداء، ما دامت النوايا قابلة للإصلاح، أما الحسد، فكان يُعدّ أخطر من مجرد الخصومة، لأنه عداء خفيّ ومستمرّ.

ويعد الحسد في الثقافة الإسلامية والعربية من أخطر الآفات الأخلاقية، وقد ذُكر في القرآن كشر يجب الاستعاذة منه: **{ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}**[٢] فالحاسد لا يريد فقط زوال النعمة عنك، بل يُعاديك بلا سبب عادل، ويصعب علاجه أو إرضاؤه.

يقول ابن حبان البستي[٣]: " والحاسد لا تهدأ روحه ولا يستريح بدنه

---

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص٥٥.

(٢) سورة الفلق: ٥.

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ المجود, شيخ خراسان, محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي، ويقال له ابن حِبّان: مؤرخ، علّامة، جغرافي، محدث، كان عالما بالفقه, واللغة, والحديث، والوعظ, ومن عقلاء الرجال، من كتبه (المسند الصحيح) في الحديث، يقال: إنه أصح من سنن ابن ماجة، و (روضة العقلاء) في الأدب، و (الأنواع والتقاسيم) و (الثقات) وتوفي سنة ٩٦٥ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: للذهبي، ط. دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ١٨٤/١٢، الأعلام: للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م، ٧٨/٦.

إلا عند رؤية زوال النعمة عَن أخيه "[1].

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

الشافعي لا يحذّر من العداوات فحسب، بل يُقرّ أن عداوة الحسد لا يُرجى إصلاحها، لأن أصلها داخلي لا يُعالَج بالكلمة أو الفعل، مما يعطي للبيت وزنًا تحذيريًا ثقافيًا كبيرًا، فالسياق الثقافي يجعل المعنى الحقيقي للبيت يتجاوز النص، ليصبح تحذيرًا أخلاقيًا من أسوأ أنواع العداوة، وترسيخًا لحكمة اجتماعية ترى في الحاسد خطرًا داخليًا لا يُداوى.

٧- **قول الإمام الشافعي[2]:**

أَرَى حُمُرًا تَرْعَى وَتُعْلَفُ ما تَهْوى وأُسْدًا جِيَاعًا تظمأُ الدَّهرَ لا تُرْوَى

يُعبِّر الشافعي في هذا البيت عن نقد اجتماعي مبطَّن لحالٍ يرى فيه أن أهل الفضل يُحرمون، ويُهملون، بينما يُكرَّم من لا فضل له ولا قيمة حقيقية، فاختلال موازين العدالة الاجتماعية والفكرية هو جوهر المعنى، ولا يمكن إدراكه دون فهم السياق الثقافي الذي يُعلي من العلم والكرامة، ويحتقر الجهل والكسل، فالبيت يعكس حسرة المثقف والفقيه من مشهد اجتماعي يُعْطَى فيه المنصب والجاه والمال لمن لا يستحق، بينما يُهمّش الأكفاء والنبلاء وأصحاب المبادئ[3].

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

يتجلى أثر السياق الثقافي بوضوح في توجيه المعنى من صورة رمزية إلى صرخة أخلاقية ضد الظلم وتزييف القيم؛ إذ يُقدِّم الشافعي صورةً ظاهرها وصفا لحيوانات، لكن معناها الحقيقي لا يُفهم إلا من خلال البيئة

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البُستي ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – دون تاريخ، ص١٣٣.

(٢) من الطويل، وهو في ديوانه: ص ١١١.

(٣) ينظر: شرح ديوان الشافعي، ص٥٤.

الثقافية التي عاش فيها فـ **(الحُمُر)** في الثقافة العربية ترمز إلى الجهل وضعف القيمة، وانعدام المكانة، بينما **(الأُسْد)** تمثل القوة والكرامة والمروءة، فالشافعي عاش في زمن انتشرت فيه المحاباة السياسية وتقديم غير الأكفاء على أهل العلم والفضل.

فالمعنى الظاهري مجرد مقارنة بين حالتين في عالم الحيوان، والمعنى الحقيقي الذي يُنتج بفضل السياق الثقافي هو نقد اجتماعي لواقع مختلّ القيم، حيث يُهمّش أصحاب الفضل ويُكرّم الجهلة.

٨- **قول الإمام الشافعي**(١):

احفظ لِسَانك أيُّها الإنسانُ لا يلدغنّك، إنَّهُ ثُعبانُ

يُعدّ اللسان في التراث العربي، رمزًا للقول، والبيان، بل أداة تحمل شرف الإنسان أو تهلكته، وقد أكّد الإسلام على خطورة الكلمة، كما في الحديث النبوي: « **وَهَلْ يَكُبّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ** » (٢)، كما أن تشبيه اللسان بالثعبان يستمد قوته البلاغية من التصوّر الثقافي العربي للحيوان السام بوصفه رمزًا للمباغتة والخطر القاتل.

فالمعنى في البيت قد يبدو بسيطًا في ظاهره (الحذر من الكلام) ويتعمّق عند إدراك أثر السياق الثقافي، الذي يُثري المعنى ويمنعه من أن يُفهم بشكل سطحي أو مجرد من دلالاته الأخلاقية والاجتماعية، بل كتحذير ثقافي وديني واجتماعي.

---

(١) من الكامل، وهو في ديوانه: ص ١٠٠ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، تح/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، برقم (٢٢٠٦٣) ٣٨٣/٣٦، وابن ماجه في سننه، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، برقم (٣٩٣٧) ١٣١٤/٢.

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

يُظهر هذا البيت كيف أن المعنى الحقيقي للكلام لا يتجلّى إلا في ضوء السياق الثقافي الذي ينتمي إليه النص، فالمعنى الظاهري يبدو البيت كتحذير من خطر الكلام، لكن المعنى الحقيقي يتجاوز هذا المعنى عند استحضار السياق الثقافي العربي الإسلامي الذي يربط بين الكلمة والمصير الأخلاقي والديني للإنسان، فاللسان في هذا السياق ليس مجرد عضو ناطق، بل هو مرآة للعقل والدين، وأداة يمكن أن تُستخدم للخير أو الشر، وتشبيه اللسان بالثعبان له جذور عميقة في الثقافة العربية، حيث يكتسب دلالته من التصورات الثقافية التي ترى في الثعبان كائنًا خبيثًا وسامًا، يلدغ غدرًا، ما يضفي على التحذير بعدًا اجتماعيا وأخلاقيًا، ومن هنا، فإن المعنى الحقيقي للبيت لا يكتمل إلا بفهم الخلفية الثقافية التي تُكسي الألفاظ دلالات رمزية وأخلاقية، وتحوّل التحذير من مجرد نصيحة عابرة إلى مبدأ أخلاقي يحكم علاقة الإنسان بالكلمة والمجتمع.

٩- **قول الإمام الشافعي**[١]:

قُضاةُ الدهرِ قد ضَّلوا فقد بَائَتْ خُسَارتهم

فباعوا الدينَ بالدُّنيا فما رَبِحَتْ تِجَارَتُهُم

يتجلّى في كلام الشافعي البعد النقدي العميق الذي لا يُفهم فهمًا حقيقيًا إلا في ضوء السياق الثقافي الذي قيل فيه، فقد عاش الشافعي في عصرٍ شهد تحوّلات سياسية وفقهية وصراعات مذهبية، كانت فيها السلطة أحيانًا تتدخل في الفتوى والقضاء، فاختلط الحق بالمصلحة، وفي هذا الإطار، يهاجم الشافعي (قضاة الدهر) الذين انحرفوا عن مسار العدل، ليس فقط

(١) من مجزوء الوافر، وهو في ديوانه: ص ٤٠ .

بوصفهم أفرادًا، بل بوصفهم رموزًا لفئة استبدلت القيم الدينية بالمنافع الدنيوية، ويستعير من لغة القرآن، مثل قوله تعالى: **{ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ }**[1] مما يعمّق المعنى ويُحيله إلى إدانة دينية وأخلاقية لا مجرد نقد اجتماعي.

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

السياق الثقافي هنا يمنح الألفاظ أبعادها الحقيقية، فـ **(باعوا الدين بالدنيا)، (ما ربحت تجارتهم)** ليست مجرد مجاز، بل إشارة إلى ظاهرة مرفوضة في وعي الجماعة الإسلامية، تتعلق بالمتاجرة بالمقدسات والتلاعب بالأحكام، وتربط الانحراف الأخلاقي بالخسارة الوجودية، ومن دون هذا السياق، قد تُقرأ الأبيات قراءة سطحية تظن أن الشاعر يعبّر عن رأي شخصي فقط، بينما هي في الحقيقة صوت ثقافي إصلاحي يحذّر من انهيار العدالة حين تتحكم فيها الأهواء.

١٠-قول الإمام الشافعي[2]:

فاهْرَبْ بنَفْسِكَ واسْتأنِسْ بوِحْدَتِها تَبقَ سعيدًا إذا ما كُنْتَ مُنفرِدَا

هذا البيت يعبر عن دعوة للانعزال عن الناس من أجل سلامة النفس والراحة الداخلية، وهي فكرة تتكرر كثيرًا في أدب الزهد والتصوف، ولفهم المعنى الحقيقي لهذا البيت، لا بد من استحضار السياق الثقافي الذي قيل فيه، أي البيئة الفكرية والاجتماعية التي عاش فيها الإمام الشافعي (القرن الثاني والثالث الهجري).

حيث كان العصر العباسي زمن انفتاح فكري كبير، وظهرت فيه الفرق الكلامية، والمناظرات، والمجادلات، كما كثرت فيه الفتن السياسية

(١) سورة البقرة: ١٦.

(٢) من البسيط، وهو في ديوانه: ص ٥٥ .

والاجتماعية، في هذا السياق، يصبح العزلة خيارًا عقلانيًا وروحيًا للابتعاد عن مواطن الفتن والضياع الأخلاقي، فالشافعي لا يدعو إلى العزلة المطلقة كزهد صوفي، بل كحماية للنفس من ضجيج الناس وشرورهم التي انتشرت في مجتمعه، فالسعادة – كما يشير – في الخلوة التأملية لا في مخالطة العامة على الدوام.

أيضا كان الإمام الشافعي كثير التنقل، وقد واجه خصومات فكرية وفقهية، خاصة في بغداد ومصر، وهذا البيت يمكن أن يُقرأ كتجربة شخصية، تعبر عن خيبة أمل أو حكمة مكتسبة بعد مخالطة الناس، وربما يشير البيت إلى أن الانفراد كان مصدرًا للسكينة الداخلية بعد تجارب مريرة في مجالسة الناس أو أهل الجدل.

أثر السياق الثقافي في توجيه المعنى:

يتجلى أثر السياق الثقافي في كونه يعطي للبيت معنى أعمق من مجرد دعوة للعزلة، بل إنه دعوة للحفاظ على صفاء النفس وتزكيتها وسعادة الروح في زمن مضطرب، حيث قد تكون العزلة سبيلًا للحكمة، والتأمل، والنجاة.

المطلب الرابع

السياق العاطفي وأثره في توجيه المعنى

يُعد السياق العاطفي أداة مهمة لفهم المعنى في الشعر، خاصة في ديوان الإمام الشافعي، الذي جمع بين الفقه والشعر، فجاءت أبياته محمّلة بمشاعر قوية تُعبّر عن تجاربه الإنسانية المتنوعة، ومواقفه الفكرية، ومشاعره الروحية، وهو ما يجعل شعره حيًّا، صادقًا، معبّرًا، وفيما يلي تحليل لأثر السياق العاطفي في توجيه المعنى في ديوانه:

١-قول الإمام الشافعي[١]:

والعُودُ لوْ لَمْ تَطِبْ منهُ رَوَائِحُهُ لَمْ يَفْرِقِ الناسُ بينَ العودِ والحطبِ

المتأمل في الأبيات السابقة على البيت يجد شكوى حزينة من اختلاط المفاهيم وسوء التقدير وعدم التفرقة بين الذهب والنحاس، والسياق العاطفي الذي يحيط بهذا البيت هو التقدير والاعتزاز بالقيمة الداخلية للإنسان، ممزوجٌ بنبرة تأمل وشيء من العتاب الضمني للمجتمع الذي لا يُنصف الأشخاص إلا إن ظهر لهم أثر طيب.

الشافعي يتحدث هنا عن الإنسان صاحب الأخلاق أو العلم أو المروءة، ويشبّهه بالعود – وهو الخشب الطيب الرائحة – الذي لا يُعرف قدره إلا من رائحته، أي من أثره، هذا التشبيه يحمل في طياته شعورًا بالمرارة من واقع يحكم بالمظاهر، وتوقًا إلى الاعتراف الحقيقي بالقيمة الذاتية.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

دون السياق العاطفي، قد يُفهم البيت على أنه مجرد وصف للعود والرائحة، لكن السياق العاطفي يوجه المعنى نحو الإنسان (قيمتك في أثرك)، وإن لم يظهر منك خيرٌ، فستُعامل كأنك بلا قيمة، ولو كنت ثمينًا.

---

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص ٣٠ .

فالبيت يوحي بانتقاد ضمني للمجتمع الذي لا يميّز بين (العود) و(الحطب) إلا بالرائحة، هذا العتب مفعم بشحنة عاطفية، توجه المعنى نحو الظلم الذي قد يلحق بالطيّبين غير الظاهرين، فالسياق العاطفي يوجه أن المعنى الحقيقي للبيت ليس في المقارنة السطحية بين الخشبين، بل في التعبير عن قيمة الإنسان من أثره وسيرته.

٢- قول الإمام الشافعي[١]:

سأَضْرِبُ في طُولِ البلادِ وعَرْضِها أنالُ مُرادِي أو أموتُ غريبًا

البيت يحمل شحنة عاطفية قوية، نابعة من مشاعر مركّبة تتوزع بين:

الطموح والإصرار: يظهر في **(سأضرب)** و**(أنال مرادي)** مما يعكس روحًا لا ترضى بالقعود، وعزيمة لا تعرف الاستسلام.

الاغتراب الوجودي: فعبارة **(أموت غريبًا)** تحمل شعورًا بالغربة لا بالمعنى الجغرافي فقط، بل النفسي والروحي.

التحدي والتضحية: الشافعي يضع الموت كخيار محتمل مقابل السعي، ما يعكس تضحية عالية في سبيل تحقيق الهدف.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

يظهر أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى من السعي المكاني إلى السعي الوجودي، ومن دون السياق العاطفي، قد يُفهم البيت على أنه حديث عن السفر والتنقل فقط، لكن بشحنة المشاعر المصاحبة، يتحول المعنى إلى سعي وجودي في سبيل تحقيق رسالة أو هدف سامٍ، ولو على حساب الحياة نفسها، ولفظ **(غريبًا)** لا تعني فقط بعيدًا عن الوطن، بل شخصًا لا يجد من يفهمه، أو لا ينتمي إلى واقع لا ينسجم معه، فالسياق العاطفي يحوّل

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٣٧.

الغربة إلى موقف فلسفي، لا مجرد حال مؤقتة.

والشطر الأخير يدمج بين الأمل **(أنال مرادي)** واليأس المحتمل **(أموت غريبًا)**، مما يمنح المعنى عمقًا وجوديًا، هذا التداخل بين الإيجاب والسلب ينبع من التوتر العاطفي الداخلي، وهو ما يجعل البيت أكثر تأثيرًا.

إذن المعنى في ضوء السياق العاطفي يتجاوز من مجرد التنقل أو الطموح، ليعكس رحلة الإنسان في البحث عن الذات والحق، حتى لو كلفه ذلك كل شيء، وهذا يُبرز قدرة الشافعي على التعبير الشعري الذي يمزج الفكر بالعاطفة، ويجعل المعنى رهينًا بالوجدان لا بالكلمات وحدها.

٣- قول الإمام الشافعي[١]:

لمَّا عفوتُ ولم أحْقِدْ على أحَدٍ أرحتُ نَفْسي من هَمِّ العَدَاواتِ

البيت يحمل سياقًا عاطفيًا نفسيًا واضحًا، يتجلى في مشاعر الصفاء الداخلي والارتياح والطمأنينة، والتحرر من الأعباء النفسية الناتجة عن الكراهية والضغينة، فالبيت ينبع من حالة تصالح داخلي، فالعفو هنا ليس مجرد موقف أخلاقي، بل علاج نفسي، والشافعي يعبّر عن تجربة وجدانية عاشها، لا مجرد موعظة.

فعبارة **(همّ العداوات)** تعبّر عن تجربة مرهقة ومؤلمة، وكأن الخصومة عبء ثقيل لا يزول إلا بالعفو.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

من دون السياق العاطفي، قد يُفهم البيت على أنه دعوة أخلاقية للعفو فقط، لكن بالسياق العاطفي، يظهر المعنى الأعمق: العفو راحة نفسية لنفع الذات قبل الغير، والحقد ألم داخلي مزمن، هذا التحول في المعنى نابع من

(١) من البسيط، وهو في ديوانه: ص٣٩.

البعد العاطفي، الذي يُبرز جانب النجاة النفسية، وهذا لا يُستخلص من الألفاظ وحدها، بل من الشحنة الشعورية التي تمنح النص عمقه وتأثيره.

فالشافعي لم يكن مجرد شاعر، بل فقيه عانى من نقد الخصوم، ومواقف الحياة الصعبة، فحين يتحدث عن العفو، فهو ينقل تجربة نضج وجداني، ويمنح المعنى بُعدًا واقعيًا حيًا، يتجاوز النص النظري.

٤-قول الإمام الشافعي[١]:

ضَاقتْ فلما اسْتَحْكمَتْ حَلَقَاتُها فُرِجت، وكنْتُ أظُنُّها لا تُفْرَجُ

هذا البيت هو من أشهر أبيات الشافعي التي تمثّل قمة التفاعل العاطفي مع لحظة الشدة والفرج، حيث يحمل السياق العاطفي في البيت مشاعر الضيق والاختناق، فعبارة **(ضاقت فلما استحكمت حلقاتها)** تصور حالة شعورية خانقة، وكأن الهمّ طوق يُطبق على الإنسان، هذا التعبير العاطفي يمنح الكلمات قوة حسّية تُشعر القارئ بثقل الكرب، لا كمعلومة بل كإحساس.

كما يتمثل السياق العاطفي في البيت التحول من اليأس إلى الرجاء، فعبارة **(فُرِجت، وكنْتُ أظنُّها لا تُفْرَجُ)** تحمل دهشة الانفراج بعد يأس، وهي لحظة عاطفية شديدة التأثير، تجمع بين الفرح والاستغراب والتأمل، هذا التحوّل هو قلب التجربة الشعورية، وهو ما يجعل البيت مؤثرًا في النفس.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

يظهر أثر السياق العاطفي في التحول من وصف واقعي إلى تجربة نفسية، ومن دون هذا السياق، قد يُفهم البيت على أنه مجرد سرد لحال من الضيق ثم الفرج، لكن بالسياق العاطفي، يتحوّل إلى تجربة وجدانية صادقة

(١) من الكامل، وهو في ديوانه: ص٨٤.

تعبّر عن اضطراب الإنسان في مواجهة المحن، ثم دهشته من الفرج الإلهي غير المتوقع.

إذا المعنى الحقيقي في ضوء السياق العاطفي لا يكمن في الإخبار عن ضيق ثم فرج، بل في رسم منحنى عاطفي يبدأ بالكرب، ويتصاعد حتى القمة (الاستحكام)، ثم ينهار فجأة بلحظة الفرج، ليترك أثراً وجدانيًا في النفس يؤكد أن بعد الشدة يأتي اليسر، ولو في لحظة لم تُتوقع.

وهذا الأسلوب يعكس قدرة الإمام الشافعي على توظيف العاطفة في نقل الحكمة بأسلوب مؤثر، يلامس النفس ويدفعها إلى الرجاء.

٥-قول الإمام الشافعي[١]:

ولولا الشعر بالعلماءِ يُزري لكُنتُ اليومَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدِ

في عصر الشافعي، كانت الهيبة العلمية ترتبط بالوقار والابتعاد عن فنون قد تُحسب على اللهو أو الترف، ومنها الشعر، والشافعي يعبر في البيت عن موهبته الشعرية، فيقول إنه يمتلك قدرة شعرية كبيرة، ولو لم يكن قول الشعر يُنقص من مكانة العلماء أو يُعتبر غير لائق بهم – كما كان يُنظر إليه أحياناً في ذلك العصر–، لكان هو أشعر الناس، بل أشعر حتى من الشاعر الجاهلي لبيد بن ربيعة[٢].

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

السياق العاطفي في هذا البيت يعكس توتراً بين الاعتزاز بالموهبة والحرص على مكانة العلم والعلماء، فالشافعي هنا لا ينكر قدرته على نظم الشعر، بل يبدو معتزاً بها، لكنه يحبس هذه القدرة احتراماً لقيمته العلمية، وهذا التوتر العاطفي يُضفي على البيت صدقاً داخلياً يجعله يتجاوز مجرد

(١) من الوافر، وهو في ديوانه: ص ٥٤ .

(٢) ينظر: شرح ديوان الإمام الشافعي: ص ٨٣.

التصريح بالموهبة، ليعبر عن صراع داخلي بين الميول الشخصية والمكانة الاجتماعية، ويحضر في السياق العاطفي أيضًا نوع من الحياء والزهد في المظاهر، وهو أحد سمات الزهد التي تميّزت بها شخصية الشافعي، فكأنه يقول: أستطيع أن أكون شاعراً عظيماً، ولكنني أزهد في ذلك لما فيه من تقليل من شأن العالم.

فالسياق العاطفي يضفي على هذا البيت معنىً يتجاوز الكلام الظاهري عن الشعر، إلى التعبير عن صراع نفسي بين الاعتداد بالموهبة والحرص على الوقار العلمي، ويُعطي للبيت عمقًا وجدانيًا يكشف عن صورة العالم الزاهد الذي يستطيع، لكنه لا يفعل، التزامًا بمبدأ، وهذا السياق العاطفي هو ما يجعل المعنى أوسع وأكثر تأثيرًا من مجرد التصريح بموقف.

٦-قول الإمام الشافعي[١]:

إذا لم أجِدْ خلاً تقيّا فوَحْدَتي ألذُّ وأشْهَى من غَوِيٍّ أُعاشِرُه

يقول الإمام الشافعي إن لم يجد صاحبًا تقيًا، فإن الوحدة عنده أحب وأشهى من مصاحبة شخص فاسد الأخلاق فـ (غوي) من الغواية، أي الضلال والانحراف والفساد[٢] فهو يُفضّل العزلة على الصُحبة السيئة.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

يتجلى في البيت عدة أبعاد عاطفية تؤثر بوضوح على عمق المعنى:

الاعتزاز بالكرامة الأخلاقية والسمو الروحي: العاطفة المسيطرة على البيت هي عزة النفس ورفض التنازل عن المبادئ من أجل مجرد الصحبة، هذا الشعور بالعزة يجعل معنى (الوحدة) لا يُفهم كعزلة سلبية أو كآبة، بل كنقاء وراحة نفسية، مقابل ضيق النفس وضياع القيم في الصحبة السيئة،

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٦١.

(٢) ينظر: الصحاح (غوى) ٦/٢٤٥٠، ولسان العرب (غوى) ١٥/١٤٠.

فالسياق العاطفي هنا يجعل (الوحدة) مرادفًا للصفاء، لا للحرمان.

الاشمئزاز من الدنس الأخلاقي: كلمة (غوي) تحمل دلالة قوية على الانحراف، والاقتران بها في الصحبة يُثير في نفس الشافعي نفورًا شديدًا، هذا النفور ينعكس في اختياره ألفاظًا حسية: **(ألـذّ وأشـهى)**، وهي عادة تستخدم في الماديات، لكنه يوظفها هنا للتعبير عن اللذة المعنوية والنفسية في الوحدة، لتكون أبلغ في المفاضلة.

التجربة الشخصية والخبرة الحياتية: ربما يعكس البيت تجربة شخصية مريرة مرّ بها الشافعي، جعلته يقدّر العزلة على الصحبة المؤذية، فالسياق العاطفي هنا ليس عقلانيًا فقط، بل عاطفيًا نابعًا من ألم أو خيبة، وهو ما يُضفي على البيت بُعدًا وجدانيًا خاصًا يجعله صادقًا ومؤثرًا.

وخلاصة القول: فالسياق العاطفي يوجه معنى البيت من مجرد مقارنة سطحية بين (الوحدة والصحبة)، إلى موقف روحي ونفسي عميق يعبّر عن الاعتزاز بالكرامة الأخلاقية، والنفور النفسي من الانحراف، واللذة النفسية في العزلة الطاهرة، فالإمام الشافعي يرى الوحدة شرفًا إذا كانت الصحبة مذلة، ويجد فيها راحة قلبية تفوق ما في التواصل مع من لا يُرضي الله.

٧- قول الإمام الشافعي[١]:

وما أنا أرْضَى من زماني بما تَرى ولكنَّنِي راضٍ بما حَكَم الدَّهرُ

هذا البيت من أبيات الإمام الشافعي التي تعكس عمقًا وجدانيًا وفلسفيًا في التعامل مع الواقع، فالشافعي يقول إنه غير راضٍ عن أحوال زمانه وما فيه من فساد أو نقص أو ظلم، لكنه في الوقت نفسه راضٍ بقضاء الله وقدره، أي بما يمرّ عليه من أحوال فرضها الدهر (أو الزمن).

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٦٣.

السياق العاطفي في هذا البيت يعكس انقسامًا وجدانيًا بين الرفض الداخلي للواقع المؤلم، والقبول القلبي لقضاء الله، هذه العاطفة المزدوجة تُعطي المعنى بُعدًا مركبًا، فليس الشافعي ساخطًا، ولا هو مستسلم بلا مشاعر، بل هو صابر بعين ناقدة، هذا التوتر العاطفي يحدد المعنى الحقيقي، وهو القبول لا يعني الرضا بالفساد، بل هو رضا إيماني عميق لا دنيوي، فالشافعي لا يُنكر أن الزمان فيه ما يسوؤه، لكنه يُصرّ على موقفه الروحي بالتسليم لقضاء الله.

فالمعنى العميق للبيت لا يتحدد فقط في أنه غير راض عن الزمان وراض بقضاء الدهر، بل يُفهم . في ضوء السياق العاطفي . على أنه موقف وجداني مملوء بالألم، لكنه منضبط بإيمان داخلي يختار الصبر النبيل على الشكوى، والتسليم الحكيم على التمرّد.

٨- قول الإمام الشافعي[١]:

لقدْ أصْبَحَتْ نَفْسِي تَتُوقُ إلى مِصْر ومِنْ دُونِها قطعُ المهامهِ والقَفْرِ

يُعبّر الشافعي عن شوقٍ عميق في نفسه إلى مصر، رغم أن الطريق إليها مليء بالمشقة والتعب، من المهامة[٢] والقفر[٣] أي أن نفسه تتوق إلى مصر تَوقَ المحب، ولا يثنيه عن ذلك طول السفر أو صعوبته.

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

السياق العاطفي هنا عاطفة شوق وحنين، لكنها ليست حنينًا عاديًا، بل شوق نابع من إحساس داخلي بدافع الرسالة أو الرجاء، لا مجرد رغبة

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٦٠.

(٢) المهامة: المفازة (الصحراء) البعيدة الأطراف، ينظر: الصحاح (مهه) ٢٢٥٠/٦، ولسان العرب (مهه) ٥٤٢/١٣.

(٣) القَفْرُ: الأرض الخالية التي لا ماء فيها ولا نبات. ينظر: الصحاح (قفر) ٧٩٧/٢، ومقاييس اللغة (قفر) ١١٤/٥.

في الانتقال أو الاستقرار، وهذا يُضفي على معنى **(تتوق)** عمقًا وجدانيًا لا يُفهم من ظاهر الكلمة فقط، فالنفس تتوق، أي تشتاق بحرقة، وكأن هذا الشوق فُرض على القلب لا على الجسد فقط.

فالطريق الشاق يُعزّز الصدق العاطفي، فذكره صعوبة الطريق (المهامة والقفر) يُضفي على الشوق بُعْد التضحية، فالسياق العاطفي يوصل لنا أن حبه لمصر لا علاقة له بالراحة أو المنافع، بل هو شوق يعلو على العوائق، وهذا يوجه المعنى الحقيقي إلى أن مصر ليست مجرد مكان، بل غاية وجدانية وروحية.

٩-قول الإمام الشافعي[١]:

تَعصِي الإلهَ وأَنتَ تُظْهِرُ حبَّهُ هذا مُحَال في القِياسِ بَدِيعُ

لَوْ كانَ حُبُّك صادقًا لأطعتهُ إنَّ المحبَّ لمن يُحِبُّ مُطِيعُ

الشافعي يُوبّخ من يُظهر حبّ الله بالقول، لكنه يعصيه بالفعل، ويؤكد أن هذا تناقض غريب، ولو كان هذا الحب صادقًا، لكان دليلُه الطاعة؛ لأنَّ المحبّ الحقيقي يطيع من يحبّه[٢].

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

السياق العاطفي هنا يحمل نبرة عتاب روحيّ صادق، ليس عتابًا قاسيًا أو ساخرًا، بل يحمل غصّة قلب محبّ لله يرى من يدّعون المحبة ولكن يخالفونها في أفعالهم، وهذا يحدد المعنى الحقيقي، بأنه ليس نقدًا ظاهرًا، بل حزنٌ على انفصام القول عن العمل في العلاقة مع الله.

فالسياق العاطفي هنا يُضفي على البيت نبرة استغراب وألم في التناقض بين الظاهر والباطن، فقوله: **(تعصي الإله وأنت تُظهر حبَّهُ)** فيه نبرة استغراب وألم من هذا التناقض، وكلمة **(تُظهر)** تبرز البعد الظاهري،

(١) من الكامل، وهو في ديوانه: ص ٧٦ .

(٢) ينظر: شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه: ص ١٢٠.

بينما **(تعصي)** تكشف الواقع، والسياق العاطفي هنا يوجه المعنى الحقيقي بأن الإيمان ليس مظهرًا، بل جوهر وسلوك.

وإذا نظرنا إلى المعنى من خلال العاطفة التي تسكنه، نجد أن الشافعي لا يطرح مجرد منطق عقلي (القياس) بل صرخة قلبٍ محب لله، يتألم من انفصام العلاقة بين الدعوى والسلوك، ويناشد النفوس أن تُطابق محبتها لأفعالها، لأنّ الحب الحقّ لا يحتاج إلى دليل أكثر وضوحًا من الطاعة.

١٠-قول الإمام الشافعي[١]:

ولا خَيْرَ في خلٍّ يخونُ خَلِيلَهُ ويلقاهُ مِنْ بَعْدِ المودّةِ بالجَفَا

الإمام الشافعي يقول إن الصداقة التي تقوم على الخيانة والجفاء بعد المودة لا خير فيها، فالصديق الحقيقي لا يخون، ولا يتحول من المودة إلى الجفاء، والبيت يوحي أن الشافعي مرّ بعلاقة صداقة لم تصمد، وفي ذلك تعبير عن خيبة ثقة، وهذا ما يمنح البيت عمقًا إنسانيًا[٢].

أثر السياق العاطفي في توجيه المعنى:

السياق العاطفي للبيت مشحون بألم التجربة، ويبدو أن الشافعي لا يتحدث عن مبدأ نظري حول الخيانة، بل يُعبّر عن جرح شخصي أو خيبة أمل حقيقية، وهذا الانفعال العاطفي يجعل من معنى الخيانة هنا تجربة مريرة، لا مجرد كلمة.

هذا الأثر العاطفي يوجه المعنى من مجرد حكم أخلاقي إلى بوح عن صدمة إنسانية تتمثل في الصدمة النفسية في التحول من المودّة إلى الجفاء، فقوله: **(ويلقاه من بعد المودة بالجفا)** يكشف دهشة ومرارة، فليس الألم ناتجًا فقط من الخيانة، بل من تناقض السلوك.

---

(١) من الطويل، وهو في ديوانه: ص٧٩.

(٢) ينظر: شرح ديوان الإمام الشافعي وحكمه: ص ١٢٤.

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على المبعوث خاتما، وعلى آله وصحبه والتابعين...

فبعد هذا التطواف العلمي مع أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي –رحمه الله– خلص البحث بما يلي:

– إن الإمام الشافعي لم يكن شاعرًا تقليديًا، بل وظّف الشعر كامتداد لرسالته العلمية والفقهية، معبّرًا عن مبادئه بلغة عاطفية مؤثرة.

– إن ديوان الإمام الشافعي ليس مجرد نص شعري تقليدي، بل هو بنية لغوية غنية تتداخل فيها العاطفة، والبيئة، والتجربة الشخصية، مع الخلفية الدينية والفكرية، لتصوغ معاني دقيقة ومركبة لا يمكن فهمها فهماً كاملاً دون مراعاة السياقات المحيطة بالنص.

– أظهرت الدراسة أن السياق – بأنواعه المختلفة– يلعب دوراً حاسماً في تحديد المعنى الحقيقي للألفاظ والتراكيب، بحيث يتحول النص من مجرد قول إلى موقف وجودي وفكري وأخلاقي.

– السياق اللغوي في ديوان الشافعي يُظهر وعيًا دقيقًا بالمعاني المتعددة للألفاظ، حيث تتغير دلالة الكلمة تبعًا لتركيبها وموقعها في البيت، معتمدا في ذلك على الأساليب البلاغية (كالطباق، والمفارقة، والمقابلة، والتشبيه) لتكثيف المعنى، ما يجعل السياق ضروريًا لمعرفة المعنى المقصود.

– السياق المقامي في الديوان يكشف عن براعة خطابية في اختيار الأسلوب المناسب لكل موقف من السخرية الرقيقة إلى الجدّ الهادئ إلى العتاب الحاد.

– الديوان يعكس ثقافة الشافعي الموسوعية، فالشعر لديه ليس غرضًا فنّيًا فقط، بل وسيلة لعرض الفكر، والموقف، والفقه، ويظهر في شعره قيم

العصر العباسي مثل احترام العلم، وتوقير العلماء، ونبذ اللهو، وهي إشارات ثقافية تُعيد توجيه المعنى الرمزي في كثير من أبياته.

– عبّر الشافعي في شعره عن قضايا اجتماعية مثل الخيانة، الغدر، والفساد، وتقلب الأصدقاء، مما يجعل المعنى الشعري مرتبطًا بالسياق الطبقي والسياسي في زمنه.

– كثير من المعاني في الديوان لا تُفهم على حقيقتها إلا باستحضار الواقع الاجتماعي الذي عاشه الشافعي، مثل الغربة، التنقل، العلاقات المتوترة، والصراع بين المبدأ والمجتمع.

– وظف الشافعي الشعر لتقديم نقد اجتماعي غير مباشر، مما يُكسب السياق الاجتماعي دورًا كبيرًا في فهم المعاني الأخلاقية المغلفة بصيغة أدبية.

– العاطفة في ديوان الشافعي ليست سطحية، بل تعبّر عن تجربة روحية وفكرية، وتتجلى بشكل خاص في أبيات الزهد والشكوى، فالسياق العاطفي في شعر الشافعي يسهم في تحويل المعنى الظاهري إلى معنى وجداني عميق، يعكس تجربة الشاعر وموقفه الأخلاقي والروحي.

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة: للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- الأضداد: لابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
- الأعلام: للزركلي، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبو حنيفة: لابن عاصم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .
- البيان والتبيين: للجاحظ، تح/ عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت– لبنان– ط ٢.
- تاج العروس من جواهر القاموس: للزبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: للذهبي، تح/ الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.
- تاريخ بغداد: للبغدادي، تح/ مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ .
- التنافر الصوتي والظواهر السياقية: د/ عبد الواحد حسن، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر، ط١، ١٩٩٩ .
- تهذيب الأسماء واللغات: للنووي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان– .
- تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال: للكلبي، تح/ د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ م.
- الثقات: لابن حبان، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٩٧٣م .
- جدلية السياق والدلالة في اللغة النص القرآني أنموذجا، د / سيروان عبد الزهرة الجنابي، د/ حيدر جبار عيدان، مجلة مركز دراسات الكوفة، كلية الآداب، جامعة الكوفة، العراق، العدد ٩، يوليو ٢٠٠٨م .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للأصبهاني، دار الكتاب العربي – بيروت–.
- دراسات في علم اللغة: د. كمال محمد بشر، ط. دار المعارف، ط.٩، القاهرة، ١٩٨٦م.
- دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة: د/ إبراهيم محمد أبو سكين، دون طبع ونشر.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث دراسة تحليلية للوظائف الصوتية و البنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق: د/ عبد الفتاح البركاوي، الطبعة الأولى، ١٩٩١م .
- ديوان الإمام الشافعي، جمع وشرح/ نعيم زرزور، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، ص٥٤.
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط. دار صادر، بيروت .
- روح البيان: لأبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، الناشر: دار الفكر – بيروت.

- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: محمد بن حبان البُستي ، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – دون تاريخ .
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي: لأبي منصور الهروي، تح/ مسعد عبد الحميد السعدني، الناشر: دار الطلائع.
- سنن ابن ماجه، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سير أعلام النبلاء: للذهبي، الناشر : مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- سير أعلام النبلاء: للذهبي، ط. دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦ .
- شرح ديوان الإمام الشافعي وحِكَمِه، جمعه وشرحه/ محمود بيجو، ط١، مكتبة ابن القيم، والدار الدمشقية، دمشق، ٢٠٠٩.
- الشافعي حياته وعصره وآراؤه الفقهية: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
- صحيح مسلم، تح/ محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– .
- طبقات الشافعيين: لابن كثير، تح/ د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
- علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي: د/ منقور عبد الجليل ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ م.
- علم الدلالة النظرية والتطبيق: د/ فوزي عيسى، د/ رانيا فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٨ .
- علم الدلالة مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران، ط. دار النهضة الحديثة، بيروت.

- علم الدلالة: د/ أحمد مختار عمر، ط. عالم الكتب، ط١، ١٩٨٥م .
- علم الدلالة: أف. آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٩٨٥.
- في علم الدلالة: د/ عبد الكريم حسن جبل، دار الجيل، صيدا- بيروت- ط١ .
- القاموس المحيط: لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان- الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية: د/ حلمي خليل، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٨م .
- لسان العرب: لابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مبادئ اللسانيات: د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط٣، ٢٠٠٨ .
- مختار الصحاح: للرازي، تح/ يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تح/ إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .
- معجم البلدان: لياقوت الحموي، ط. دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .

- معجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عمر، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط: المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، القاهرة.
- المعنى اللغوي: د/ محمد حسن جبل، مطبعة الآداب، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .
- مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- مناقب الشافعي: للبيهقي، تح/ السيد أحمد صقر، دار التراث - مصر، ١٩٧٠ .
- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، د/ عبد المنعم خليل، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٧.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تح/ تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود، محمد الطناجي، دار إحياء الكتب العربية لعيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٦٣ .
- الوافي بالوفيات: للصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م
- وفيات الأعيان: لابن خلكان، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، ط١، ١٩٧١.

Sources and references

- Asās al-Balāghah, by al-Zamakhsharī, edited by Muḥammad Bāsil ʿUyūn al-Sūd, published by Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, Beirut – Lebanon, first edition, 1419 AH - 1998 CE.
- al-Aḍdād : by -Ibn al-Anbārī, tḥ : Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm,published by : al-Maktabah al-ʻAṣrīyah, Bayrūt – Lubnān-1407 H-1987 M.
- al-Aʻlām : by -Ziriklī,published by : Dār al-ʻIlm by -Malāyīn, al-Ṭabʻah : al-khāmisah ʻashar, 2002 M.
- al-Intiqā' fī faḍā'il al-thalāthah al-a'immah al-fuqahā' Māby k wa-al-Shāfiʻī wa-Abū Ḥanīfah : by -Ibn ʻĀṣim,published by : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah-Bayrūt..
- al-Bayān wa-al-tabyīn : by -Jāḥiẓ, tḥ / ʻAbd al-Salām Hārūn, Dār al-Jīl, byrwt-lbnān-Ṭ 2.
- Tāj al-ʻarūs min Jawāhir al-Qāmūs : by -Zabīdī, al-muḥaqqiq : majmūʻah min al-muḥaqqiqīn,published by : Dār al-Hidāyah..
- Tārīkh al-Islām wawafyāt al-mashāhīr wāl'ʻlām : by -Dhahabī, tḥ / al-Duktūr Bashshār ʻAwwād Maʻrūf,published by : Dār al-Gharb al-Islāmī, al-Ṭabʻah : al-ūlá, 2003 M.
- Tārīkh Baghdād : llbghdādy, tḥ / Muṣṭafá ʻAbd al-Qādir ʻAṭā,published by : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah – byrwt-al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1417 H.
- altnāfr al-ṣawtī wa-al-ẓawāhir al-siyāqīyah : D / ʻAbd al-Wāḥid Ḥasan, Dār al-Wafā' by -Ṭibāʻah wa-al-Nashr, Miṣr, Ṭ1, 1999.
- Tahdhīb al-asmā' wa-al-lughāt : by -Nawawī,published by : Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt – lbnān-.
- Tahdhīb al-Tahdhīb : by -Ibn Ḥajar al-ʻAsqalānī,published by : Maṭbaʻat Dā'irat al-Maʻārif al-niẓāmīyah, al-Hind, al-Ṭabʻah : al-Ṭabʻah al-ūlá, 1326h.

- Tahdhīb al-kamāl fī Asmā' al-rijāl : llklby, tḥ / D. Bashshār ʻAwwād Maʻrūf,published by : Muʼassasat al-Risālah – byrwt-al-Ṭabʻah : al-ūlá, 1400-1980 M.
- al-Thiqāt : by -Ibn Ḥibbān,published by : Dā'irat al-Maʻārif al-ʻUthmānīyah bḥydr Ābād aldkn, al-Hind, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1973m.
- Jadalīyat al-siyāq wa-al-dalālah fī al-lughah al-naṣṣ al-Qur'ānī anmūdhajan, D / Sayrawān ʻAbd al-Zahrah al-Janābī, D / Ḥaydar Jabbār ʻĪdān, Majallat Markaz Dirāsāt al-Kūfah, Kullīyat al-Ādāb, Jāmiʻat al-Kūfah, al-ʻIrāq, al-ʻadad 9, Yūby yū 2008M.
- Ḥilyat al-awby yā' wa-ṭabaqāt al-aṣfiyā' : ll'ṣbhāny, Dār al-Kitāb al-ʻArabī – byrwt.
- Dirāsāt fī ʻilm al-lughah : D. Kamāl Muḥammad Bishr, Ṭ. Dār al-Maʻārif, Ṭ. 9, al-Qāhirah, 1986m.
- Dirāsāt lughawīyah fī ummahāt kutub al-lughah : D / Ibrāhīm Muḥammad Abū Sikkīn, Dawwin Ṭubiʻa wa-nashr.
- Dalālat al-siyāq bayna al-Turāth wa-ʻilm al-lughah al-ḥadīth dirāsah taḥlīlīyah llwẓā'f al-ṣawtīyah wa al-binyawīyah wāltrkybyh fī ḍaw' Naẓarīyat al-siyāq : D / ʻAbd al-Fattāḥ albrkāwy, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1991m.
- Dīwān al-Imām al-Shāfiʻī, jamʻ wa-sharḥ / Naʻīm Zarzūr, Ṭ. Dār al-Kutub al-ʻIlmīyah, Bayrūt, al-Ṭabʻah al-ūlá, 1404h-1984m.
- Dīwān Labīd ibn Rabīʻah al-ʻĀmirī, Ṭ. Dār Ṣādir, Bayrūt.
- Rūḥ al-Bayān : by -Abī al-Fidā' Ismāʻīl Ḥaqqī ibn Muṣṭafá al-Istānbūlī al-Ḥanafī al-Khalwatī,published by : Dār al-Fikr – Bayrūt.
- Rawḍat al-ʻuqalā' wa-nuzhat al-fuḍalā' : Muḥammad ibn Ḥibbān albusty, al-muḥaqqiq : Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʻAbd al-

Ḥamīd,published by : Dār al-Kutub al-'Ilmīyah-Bayrūt – Dawwin Tārīkh.

- al-Zāhir fī Gharīb alfāẓ al-Shāfi'ī : by -Abī Manṣūr al-Harawī, tḥ / Mus'ad 'Abd al-Ḥamīd al-Sa'danī,published by : Dār al-Ṭalā'i'.
- Sunan Ibn Mājah, tḥ / Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī,published by : Dār lḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah-Fayṣal 'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī.
- Siyar A'lām al-nubalā' : by -Dhahabī,published by : Mu'assasat al-Risālah, ṭ3, 1405 H / 1985 M.
- Sharḥ Dīwān al-Imām al-Shāfi'ī wḥikamih, jama'ahu wa-sharaḥahu / Maḥmūd Bījū, Ṭ1, Maktabat Ibn al-Qayyim, wa-al-dār al-Dimashqīyah, Dimashq, 2009.
- al-Shāfi'ī ḥayātuhu wa-'aṣruh wa-ārā'uhu al-fiqhīyah : Muḥammad Abū Zahrah, Dār al-Fikr al-'Arabī, al-Qāhirah.
- Ṣaḥīḥ Musby m, tḥ / Muḥammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī,published by : Dār lḥyā' al-Turāth al-'Arabī – Bayrūt.
- Ṭabaqāt al-Shāfi'īyīn : by -Ibn Kathīr, tḥ / D. Aḥmad 'Umar Hāshim, D. Muḥammad Zaynahum Muḥammad 'Azab,published by : Maktabat al-Thaqāfah al-dīnīyah, Tārīkh al-Nashr : 1413 H-1993 M.
- 'Ilm al-dalālah uṣūlahu wa-mabāḥithuh fī al-Turāth al-'Arabī : D / Manqūr 'Abd al-Jalīl, lttiḥād al-Kitāb al-'Arab, Dimashq, 2001 M.
- 'Ilm al-dalālah al-naẓarīyah wa-al-taṭbīq : D / Fawzī 'Īsá, D / Rāniyā Fawzī 'Īsá, Dār al-Ma'rifah al-Jāmi'īyah, al-Iskandarīyah, Ṭ1, 2008.
- 'Ilm al-dalālah muqaddimah llqār' al-'Arabī : D. Maḥmūd al-Sa'rān, Ṭ. Dār al-Nahḍah al-ḥadīthah, Bayrūt.

- ‘Ilm al-dalālah : D / Aḥmad Mukhtār ‘Umar, Ṭ. ‘Ālam al-Kutub, Ṭ1, 1985m.
- ‘Ilm al-dalālah : Uffin. Ār. bālmr, tarjamat : Majīd almāshṭh, Maṭba‘at al-‘Ummāl al-Markazīyah, Baghdād, 1985.
- Fī ‘ilm al-dalālah : D / ‘Abd al-Karīm Ḥasan Jabal, Dār al-Jīl, ṣydā-byrwt-Ṭ1.
- al-Qāmūs al-muḥīṭ : by -Muḥammad ibn Ya‘qūb al-Fayrūz Ābādī, taḥqīq : Maktab taḥqīq al-Turāth fī Mu’assasat al-Risālah, bi-ishrāf : Muḥammad Na‘īm al‘rqsūsy,published by : Mu’assasat al-Risālah by -Ṭibā‘ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī‘, Bayrūt – lbnān-al-Ṭab‘ah : al-thāminah, 1426 H-2005 M.
- al-Kaby mah dirāsah lughawīyah mu‘jamīyah : D / Ḥilmī Khalīl, ṭ2, Dār al-Ma‘rifah al-Jāmi‘īyah, al-Iskandarīyah, 1998M.
- By sān al-‘Arab : by -Ibn manẓūr,published by : Dār Ṣādir – Bayrūt-al-Ṭab‘ah : al-thāby thah-1414 H.
- Mabādi’ al-by sānīyāt : D / Aḥmad Muḥammad Qaddūr, Dār al-Fikr, Dimashq, ṭ3, 2008.
- Mukhtār al-ṣiḥāḥ : by -Rāzī, tḥ / Yūsuf al-Shaykh Muḥammad,published by : al-Maktabah al-‘Aṣrīyah-al-Dār al-Namūdhajīyah, Bayrūt – Ṣaydā, al-Ṭab‘ah : al-khāmisah, 1420h / 1999M.
- Musnad al-Imām Aḥmad ibn Ḥanbal, tḥ / Shu‘ayb al-Arna’ūṭ-‘Ādil Murshid, wa-ākharūn,published by : Mu’assasat al-Risālah, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1421 H-2001 M.
- Mu‘jam al-Udabā’ : Yāqūt al-Ḥamawī, tḥ / lḥsān ‘Abbās,published by : Dār al-Gharb al-Islāmī, Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-ūlá, 1414 H-1993 M.
- Mu‘jam al-buldān : by -Yāqūt al-Ḥamawī, Ṭ. Dār Ṣādir, Bayrūt, al-Ṭab‘ah : al-thāniyah, 1995 M.

- Mu'jam al-lughah al-'Arabīyah al-mu'āṣirah : D Aḥmad Mukhtār 'Umar,published by : 'Ālam al-Kutub, al-Ṭab'ah : al-ūlá, 1429 H-2008 M.
- al-Mu'jam al-Wasīṭ : al-mu'alby f : Majma' al-lughah al-'Arabīyah bi-al-Qāhirah, (Ibrāhīm Muṣṭafá / Aḥmad al-Zayyāt / Ḥāmid 'Abd al-Qādir / Muḥammad al-Najjār),published by : Dār al-Da'wah, al-Qāhirah.
- al-Ma'ná al-lughawī : D / Muḥammad Ḥasan Jabal, Maṭba'at al-Ādāb, al-Ṭab'ah al-ūlá : 1426-2005 M.
- Maqāyīs al-lughah, Ibn Fāris, tḥ : 'Abd al-Salām Hārūn,published by : Dār al-Fikr, 'ām al-Nashr : 1399h-1979m.
- Manāqib al-Shāfi'ī : by -Bayhaqī, tḥ / al-Sayyid Aḥmad Ṣaqr, Dār al-Turāth – Miṣr, 1970.
- Naẓarīyat al-siyāq bayna al-qudamā' wa-al-muḥaddithīn, D / 'Abd al-Mun'im Khalīl, Dār al-Wafā' by -Ṭibā'ah wa-al-Nashr, al-Iskandarīyah, Ṭ1, 2007.
- al-Nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar : by -Ibn al-Athīr, tḥ / taḥqīq : Ṭāhir Aḥmad alzāwá-Maḥmūd Muḥammad al-Ṭanāḥī,published by : al-Maktabah al-'Ilmīyah-Bayrūt, 1399h-1979m.
- al-Nihāyah fī Gharīb al-ḥadīth wa-al-athar, Ibn al-Athīr, taḥqīq : Ṭāhir Aḥmad al-Zāwī, wa-Maḥmūd, Muḥammad alṭnājy, Dār lḥyā' al-Kutub al-'Arabīyah by -'Īsá al-Bābī al-Ḥalabī, Ṭ1, 1963.
- al-Wāfī bi-al-Wafayāt : llṣfdy, tḥ / Aḥmad al-Arnā'ūṭ, wtrky Muṣṭafá,published by : Dār lḥyā' al-Turāth – Bayrūt-1420h-2000M.
- Wafayāt al-a'yān : by -Ibn Khalby kān, tḥ : lḥsān 'Abbās,published by : Dār Ṣādir-Bayrūt, Ṭ1, 1971.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٠٣٩
المبحث الأول: الإطار النظري	١٠٤٣
المطلب الأول: مفهوم السياق، وأنواعه	١٠٤٣
أولا: مفهوم السياق	١٠٤٣
ثانيا: أنواع السياق	١٠٤٥
المطلب الثاني: التعريف بالإمام الشافعي، وديوانه	١٠٤٩
أولا: التعريف بالإمام الشافعي –رحمه الله–	١٠٤٩
ثانيا: شعر الإمام الشافعي وديوانه	١٠٥٣
المبحث الثاني: أثر السياق في توجيه المعنى في ديوان الإمام الشافعي	١٠٥٧
المطلب الأول: السياق اللغوي وأثره في توجيه المعنى:	١٠٥٨
المطلب الثاني: السياق المقامي وأثره في توجيه المعنى	١٠٦٨
المطلب الثالث: السياق الثقافي وأثره في توجيه المعنى	١٠٧٨
المطلب الرابع: السياق العاطفي وأثره في توجيه المعنى	١٠٩٢
الخاتمة	١١٠٢
المصادر والمراجع	١١٠٤
فهرس المحتويات	١١١٤